
٣
كمين في الأدغال
محمود شمسي
٣
كمين في الأدغال
محمود شمسي

١

لم يكن أوينسي عام ١٩٧٠ غير فتى في السادسة عشرة من عمره ولكن الناظر اليه يعتقد انه في العشرين ، فقد كان طويلاً ، ممتلئاً ، ذا تقاطيع حادة صارمة ، تخفي وراءها شخصية «أوينسي» الحقيقية بقلبه الطيب الودود ومشاعره المفعمة بالرقة والعذوبة .

وفي قرية «أبيكوتا» الصغيرة التي لاتشكل سوى نقطة ضائعة في خارطة نايجيريا بدأ «أوينسي» مواجهته الاولى مع الحياة . لقد ترك المدرسة ليوفر لعائلته الفقيرة مصاريف إضافية لاقدرة لها على دفعها ، وليساعد أمه المريضة في بيع الفاكهة على قارعة الطريق .

كان «أوينسي» يحمل كل صباح سلال الفاكهة ويضعها أمامه بانتظار مرور سيارات المسافرين المتوجهين الى العاصمة «لاكوس» او القادمين منها ، وكان هؤلاء يقفون بسياراتهم ويساومون القرويين مساومة شديدة ولا يبرحون المكان حتى يملأوا صناديق سياراتهم بكل انواع الفاكهة وبارخص الاسعار . والقرويون مضطرون في أغلب الاحيان الى البيع بالاسعار التي يعرضها المسافرون انفسهم . فالطريق الى لاكوس يعج بهذا النوع من الباعة مادامت اشجار الفاكهة والقرى الصغيرة تنتشر على الجانبين ، حتى ان الواحد منهم قد لاتسنح له الفرصة بالبيع ولو مرة واحدة في الاسبوع .

وغالباً ماكان «أوينسي» يعود الى كوخه البائس في المساء دون أن يبيع شيئاً من بضاعته ، حيث يجد أمه المريضة وقد عادت هي الأخرى بسلتها دون أن تُمسّ .

وكان صباحاً جميلاً ، مشرقاً ، حين توقفت الى جواره سيارة حمراء فارهة ، وهبط منها شاب وسيم تبدو عليه مظاهر الغنى . راح الشاب ينظر الى «أوينسي» وإلى سلال الفاكهة التى أمامه ثم سأله عن سعرها جميعاً ، فشاع الدم في وجه «أوينسي» من الفرح وتفاءل كثيراً بهذا الصباح الذي سيزيح عنه هموماً تراكمت طوال الاسبوعين الماضيين حيث لم يبع خلالها اي شيئ وحين حدد له «أوينسي» السعر ، لم يقل الشاب شيئاً بل تحرك صوب الصندوق الخلفي للسيارة وفتحه ، ثم نادى «أوينسي» طالباً منه حملها بسرعة ووضعها في الصندوق واستلام ثمنها.

كان فرح أوينسي طاغياً ، وسعادته ليس لها حدود ، فلأول مرة يأتي اليه من يشتري بضاعته كلها مرة واحدة دون ان يساومه على السعر . وشعر ان هذه الصفقة سوف تعوضه عن كل الايام الماضية التي كان يخرج فيها ويعود الى الكوخ خالي اليدين .

مدّ الشاب يده الى جيبه وهو يسير متمهلاً ثم أخرج محفظة نقوده بيد وفتح باب السيارة باليد الاخرى . في تلك اللحظة وقف أوينسي الى جواره منتظراً ان يدفع له هذا الشاب الكريم ثمن فاكهته دون نقصان ... وربما راح أوينسي يحلم بأكثر من

الثمن ، فها هو الشاب يخرج محفظته ويجلس خلف مقود السيارة دون ان يسأل ثانية ليتأكد من الثمن ، وهذا دليل كافٍ على انه غير مهتم كثيراً بالنقود · فرك أوينسي يديه محاولاً إخفاء ابتسامة فرحٍ غامر تحاول ان تشرق على وجهه ، في تلك اللحظة حدث شيئ لم يكن في الحسبان ، ظلّ أوينسي عدة لحظات مبهوتاً فاغر الفم ، لايستطيع أن يفعل شيئاً ، لقد انطلقت السيارة من امامه وغابت في طريق الغابة المتعرج دون ان يستطيع حتى معرفة الرقم الذي تحمله ·

وبعد ان استعاد أوينسي وعيه من أثر هذه الصدمة المفاجئة أحسّ بالخسارة الكبيرة التي مني بها وهو يقف أمام السلال الفارغة خاليِ اليدين من كل شيئ · هاهو الأن يفقد كل ماتملكه عائلته المسكينة البائسة ، فماذا ترى سيقول لأمه المريضة واخوانه الصغار حين يعود الى الكوخ ويراهم بانتظاره هناك ؟ ·

فكر كثيراً دون جدوى ، فماذا ينفعه التفكير في مثل هذا الامر؟

وإذا عاد الى الكوخ وروى الحادثة بتفاصيلها الى امه فهل سينتهي كل شيئ ؟ انه يحسّ الأن باليأس وبالعجز الكامل عن الوصول الى حل يستطيع به ان يخفف عن امه واخوانه الصغار ، وعزّ عليه ان يرى بعينيه منظرهم وهم يسمعون منه تفاصيل الحكاية · لذلك قررّ الاّ يعود الى الكوخ حتى يستطيع الحصول على بعض المال ·

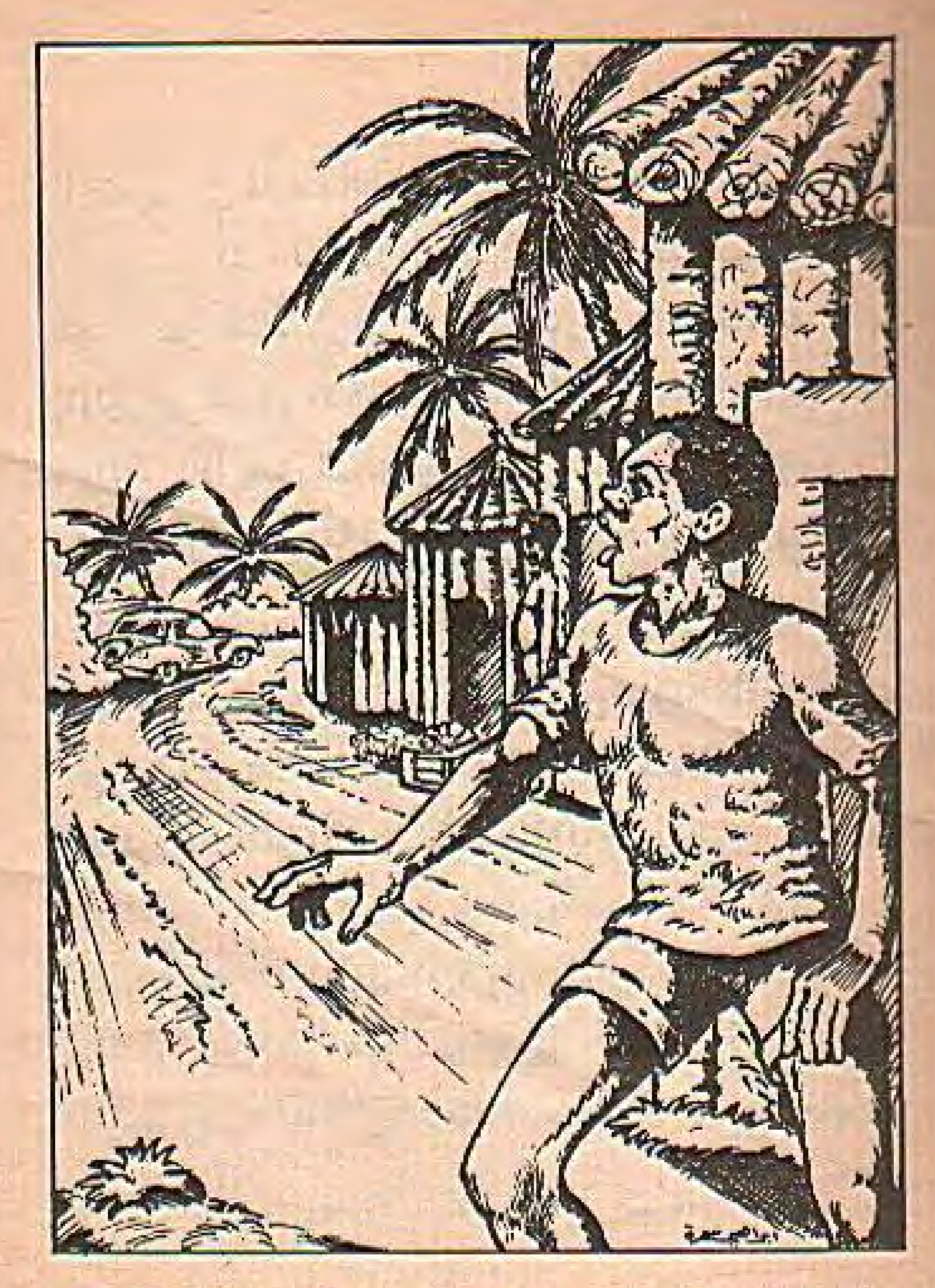
ولكن ماذا ترى سيفعل «وأ[illegible]بيكوتا» ليست سوى قرية صغيرة لاتحوي سوى عد[illegible] قليل من الاكواخ ؟ ومن أين سيحصل على المال ؟ [illegible]كل هنا فقراء مُدقعون لاتكاد مواردهم القليلة تسدّ جوعهم المزمن ؟·

إذن لابد من الذهاب الى «لاكوس» ... الى المدينة الكبيرة التي عاش طول عمره وهو يحلم بالسفر اليها · ودون أن يسترسل في تفكيره وأحلامه البائسة تلك ترك السلال الفارغة على قارعة الطريق ومضى بأتجاه «لاكوس» ·

ظلّ يسير ويسير ورأسه مليئ بالهموم وصورة امه الحزينة

وأخوانه الصغار لاتفارق خياله ، ولو نظر احد اليه وهو في تلك الحالة لرأى الدموع ترطب خديه وتسيل على رقبته فيمسحها دون ان يلتفت الى الخلف . فقد ترك وراءه أهله وقريته الحبيبة ولايعرف ماذا سيكون عليه مصيره . كان يرى في طريقه الناس والسيارات والقرى الصغيرة كالاشباح فهناك في رأسه شريط يدور يمنعه من التركيز والنظر الى الاشياء التي تحيطه .

وبعد مسيرة طويلة جلس يستريح قليلاً ، وراح يتذكر القصص التي كان يحكيها بعض من سافر الى «لاكوس» . لم يكن يستطيع ان يتصورها من خلال الوصف ، وكل الذي يرسمه خياله عنها انها مدينة كبيرة مليئة بالناس والسيارات والبيوت الشاهقة والجسور ، وان هناك مطاعم فاخرة يأكل فيها المسافرون طعامهم وفيها مخازن كبيرة ليست كالدكاكين الصغيرة التي في القرية . وتذكرَ ايضاً ان المسافرين الذين يذهبون اليها صباحاً يصلون قبل ان ينتهي وقت الافطار هناك ، وهم غالباً



لقد انطلقت السيارة من امامه وغابت في طريق الغابة المتعرج

مايجلسون على قارعة الطريق ويتناولون افطارهم في المدينة الكبيرة ، ولكنه لم يصل الى الآن والوقت قارب ان يكون ظهراً ، فهل هناك طريق آخر غير الطريق الذي يسلكه ؟ انهم يقولون ان طريق «لاكوس» من هنا وليس هناك طريق سواه ، وتذكر لماذا يصل الناس بسرعة ، انه يسير على قدميه وهم يسافرون بالسيارة وما اكبر الفرق بين السير على قدمين والسفر بالسيارة ؟ .

وتنبه الى انه جلس وقتاً طويلاً ليستريح ، وانه ظل يتحدث مع نفسه ويتذكر ، ناسياً ان الطريق مازال طويلاً الى «لاكوس» ، فقام ومضى ثانية بنفس الأتجاه .

٢

كانت الشمس توشك ان تغيب حين نظر أوينسي أمامه فرأى المنظر المدهش المثير ، تلالاً عالية بيضاء وصفراء ورمادية ، وارضاً مكشوفة إلا من اشجار متناثرة هنا وهناك ،عدد السيارات يتكاثر وأنواعها تختلف ، وعربات من كل نوع تسير محملة بالناس والبضائع ، وكلما اقترب قليلاً اكتشف شيئاً جديداً ، فها هي التلال البيضاء والصفراء تتوضح اكثر فأكثر ، انها ليست كالتلال التي رآها خارج قريته في الغابة ، انما هي شئ آخر ، لابد انها البيوت التي وصفها اليه المسافرون من قبل ، وعاد ثانية ليتذكر القصص الكثيرة التي سمعها عن «لاكوس» .

اذن لقد دخل المدينة الكبيرة وعليه الان ان يجد مكاناً يأوى

اليه وطعاماً يسد به هذا الجوع الذي بدأ ينهش امعاءه ، ولكن .. كيف سيجد كل ذلك وهو لايملك فلساً واحداً ؟ أين سيذهب في هذه المدينة الكبيرة وهو غريب عنها لايعرف حتى طرقها وازقتها الضيقة ؟ وتذكر قريته الوديعة الساكنة واكواخها الصغيرة التي لا تشبه هذه الابنية الاسمنتية العالية ، تذكر الامسيات الجميلة التي كان يقضيها مع امه واخوانه الصغار في «أيكوتا» فلعن تلك الساعة التي بعثت له هذا الرجل الشرير ليسلب فاكهته ويتركه ضائعاً لايعرف ماذا يفعل ؟ كان المساء قد بدأ يلف المدينة واختفت الشمس خلف البيوت العالية ، ولم تعد اشعتها الذهبية تغمر إلاّ رؤوس الاشجار العالية ، في تلك اللحظة كان أوينسي قد استقر وسط احدى الحدائق الكبيرة المطلة على البحر وراح يفكر في حالته البائسة تلك. كان عدد من الصبيان الذين في سِنّه وعدد آخر من الرجال منتشرين هنا وهناك يشغلون وقتهم بالحديث . احسّ أوينسي ان المكان اكثر اطمئناناً من شوارع المدينة وأزقتها ، وانه في هذه الحديقة يستطيع ان يجلس ويستريح ماشاء من

الوقت ، فلا أحد يراقبه ولا أحد يمنعه من الجلوس هناك .

● ● ●

مضى عليه وهو جالس في مكانه اكثر من ساعتين ، لقد بدأ الليل يغمر الحديقة ويحيلها الى ظلام دامس . وبعد ان كان المكان يعجّ بالرجال والصبيان صار خالياً إلا من بعض المارة الذين يعبرون من امامه مسرعين لايعبأون به ، وكأنه مجرد حجارة ملقاة على قارعة الطريق . في تلك اللحظة كان أوينسي ينظر الى البحر المظلم المخيف فيرى بعض الاضواء الخافته المنبعثة من زوارق الصيادين وهي تتلألأ فينعكس نورها على الامواج المتكسرة التي تضرب رمال الساحل . لقد قرر ان ينام تلك الليلة على الحشائش هناك بانتظار الصباح ، وبعدها سيرى ماذا يستطيع ان يفعل . اختار مكاناً منزوياً بين شجرتين وارفتين ووضع يده تحت رأسه وتهيأ للنوم. ولكن كيف يأتيه النوم وهو على تلك الحال ؟ صحيح انه ليس بحاجة

الى فراش وثير وان باستطاعته ان يصبر يوماً أو يومين دون طعام ، ولكن كيف يستطيع ان يمنع صورة أمه واخوانه الصغار من ان تقضّ عليه مضجعه ؟

وهكذا كانت الساعات تمر ، والليل يمتد وهو ساهر لاتغمض له عين . وراح يشغل نفسه بالتفكير تارةً وبالنظر الى البحر تارة اخرى. وبينما هو على تلك الحالة إذ سمع خشخشة قريبة منه فجمد في مكانه هلعاً وذعراً ، وحاول ان يقوم ليختبئ فوق احدى الشجرتين اللتين كان ينام تحتها ، ولكن الصوت كان يزداد اقتراباً منه ، وتصور ان اية حركة من جانبه ربما ستكون سبباً في نهايته فازداد سكوناً وصمتاً حتى انه خشي ان يفضحه تنفسه الخائف المرتبك فوضع يده على فمه من شدة الذعر .

كان عدد الرجال لايزيد على ثلاثة ، كانوا يتحدثون فيما بينهم بصوت خافت لايسمعه سواه ، لقد عرف من حديثهم انهم بانتظار البضاعة التي ستأتي من البحر ، وراح عقله الكبير يفكر في هذه البضاعة التي تجعل هؤلاء الرجال يتصرفون

بسرية تامة في هذا الوقت المتأخر من الليل . قال في نفسه: لو كانت حمولة من الفاكهة إذن لاستطاعوا الانتظار الى الصباح ؟ بل لو انها تجارة من اي نوع لما كان هناك سبب يمنعهم من أن يذهبوا الى بيوتهم الآن وينتظروا حتى تطلع الشمس .
إذن ماهي هذه البضاعة ياترى ؟

وقبل ان يستمر «أوينسي» في تصوراته تلك سمع أحدهم يقول بصوت واضح وكأنه ينبه صديقيه لذلك الشئ.

ـ هاهم .. لقد اتوا .

وبالفعل تحرك الرجال الثلاثة ورآهم اوينسي يسيرون باتجاه الساحل كأنهم اشباح بسبب العتمة التي تلف المكان. في تلك اللحظة كان احد الزوارق الصغيرة يقترب من الساحل المواجه للحديقة وفي داخله ضوء برتقالي خافت يترنح ويهتز بسبب اهتزاز الزورق .

ظل الزورق في مكانه مايقارب النصف ساعة وأوينسي يتطلع اليه من خلال الظلام فيرى عدداً من الرجال منشغلين بنقل

صناديق صغيرة يضعونها على الشاطئ ، ولم يكن أوينسي يستطيع تمييز الصناديق ولا تحديد عدد الرجال المنهمكين في العملية · بعدها شاهد الزورق وهو يبتعد قليلاً قليلاً ثم يغيب ولو كان الوقت نهاراً لما شغل أوينسي نفسه بالتلصص على هذا المشهد ومراقبة الرجال الثلاثة وهم يجلسون قرب الصناديق على الشاطئ والزورق يبتعد عنهم ويغيب في الظلام ، ولكنه الآن يفتح عينيه جيداً وينظر وهو مندهش من السر الذي يحاول هؤلاء اخفاءه فيقومون بنقل هذه الصناديق في منتصف الليل وكأنهم لصوص ·

بعد دقائق من اختفاء الزورق برزت من جانب الحديقة الايسر سيارة «بيكاب» وراحت تقترب ببطء من مكان الصناديق· وكما حدث في المرة السابقة بدأ الرجال الثلاثة بالعمل الصامت الدؤوب ثانية ولكنهم هذه المرة نقلوا تلك الصناديق من الشاطئ الى السيارة ، وقبل ان يستطيع أوينسي الاقتراب منهم ومعرفة لون السيارة ورقمها تحركت عائدة في طريقها واختفت خلف الاشجار ·

٣

حين طلع الفجر لم يكن «أوينسي» قد نام في ليلته الماضية اكثر من ساعة ، وكانت قصة الرجال الثلاثة والزورق قد مرت عليه وكأنها حلم عابر ، ولكنها ظلت عالقة في رأسه فأنسته الى حدٍ ما التفكير في حالته المزرية تلك ، وعادت الحديقة لتمتلئ ثانية بالناس ، وبدأت الزوارق تتحرك على طول الساحل المواجه له.

كان أوينسي يرى كل ذلك للمرة الاولى فاحس بنشوة لذيذة ، فها هو الحلم يتحقق ، وهاهي «لاكوس» المدينة الكبيرة التي قضى سنوات من عمره يحلم بزيارتها ، امامه ببيوتها الكبيرة وشوارعها وسياراتها وضجيجها الذي لايخفت· انه الان أمام مهمة واحدة ، هي ان يجد عملاً يستطيع بواسطته الاستمرار في

العيش ويستطيع ايضاً ان يجمع بعض النقود ليعود الى قريته وأهله فينقذهم من الفقر والفاقه التي يعانون منها. وهكذا خرج «أوينسي» من الحديقة في ذلك الصباح وراح يقطع الشوارع شارعاً شارعاً ويقف امام المحلات عارضاً نفسه للعمل .

لم يكن يعلم انه سيجد مشقة كبيرة في الحصول على العمل ، ولم يكن يظن ان المدينة الكبيرة الزاخرة بالمخازن والمطاعم والشركات ستسد ابوابها جميعاً في وجهه ، وحين عاد عصر ذلك اليوم الى مكانه الاول في الحديقة كان التعب والأنهاك قد نالا منه ، وكان اليأس قد تملكه حتى ظن انه لن يستطيع المقاومة اكثر من ذلك . وقبل ان يحل الظلام ثانية وقفت من جهة اليسار سيارة صغيرة بيضاء وناداه صاحبها وكأنه يعرفه من قبل وحين اقترب أوينسي منه قال له الرجل ببرود :

ـ اغسلها بسرعة فليس لديّ اكثر من عشر دقائق. لم يفهم أوينسي أول الامر ماذا يعني الرجل ، وحين نظر الى السيارة ورأى الوحول تغطي جوانبها استطاع أن يفهم. خلع رداءه

مسرعاً وتوجه الى البحر ، وبعشر دقائق عادت السيارة نظيفة ، لامعة كأنها خرجت تواً من المصنع.

وكانت لحظات ممزوجة بالدهشة والسعادة حينما وضع الرجل في يد أوينسي ثلاثة شلنات وانطلق بسيارته مبتعداً عن البحر .

هاهو أخيراً يجد عملاً مريحاً وسهلاً ، يستطيع الآن ان يأكل بشلن ويوفر شلنين ليوم غد ، وقبل ان يغادر الحديقة الى الحوانيت الصغيرة المنتشرة في المدينة كان عليه ان يغسل رداءه وينشفه كي يستطيع ارتداءه ثانية. وحين فعل ذلك وجلس بعد ساعتين أمام بائعة اليام احسّ ان ذلك الطعام هو أطيب طعام تذوقه في حياته ، فقد مضى عليه اكثر من ثلاثين ساعة لم يضع شيئاً في فمه. وحين نام تلك الليلة لم يكن يفكر .. أعاد الرجال الثلاثة الى بضاعتهم ثانية ام لا ؟ لقد كان يغط في نوم عميق .

● ● ●

قضى أوينسي عدة أيام في الحديقة يعمل نهاراً بغسل السيارات قرب ساحل البحر وينام الليل بين الشجرتين ، وكان قد وفر اكثر من عشرة شلنات من عمله المتقطع هذا · وفي احدى الليالي ، وقبل أن يمضي على وجوده في لاكوس سبعة أيام عاد الى الحديقة كعادته لينام ، ولم تكن لديه رغبة في النوم ، فقد قضى ذلك اليوم بطوله على الشاطئ دون عمل ، وحين اضطجع بين الشجرتين راح شريط ذكرياته القديمة يعاوده مرة اخرى ، فتذكر قريته واصدقاءه هناك وأمه واخوانه الصغار ، وتذكر ايضاً سرقة الفاكهة والسيارة الحمراء والشاب وهو يخرج محفظة نقوده ثم اللقطات الاخيرة حين تنطلق السيارة وتغيب من امام عينيه · في تلك اللحظة سمع الخشخشة نفسها تنبعث من جواره ، انهم الرجال الثلاثة عادوا ثانية الى الشاطئ · جمد في مكانه ايضاً ولكن ليس بسبب الخوف هذه المرة بل ليتنصت اليهم ويراقبهم عن كثب· كانت الاصوات تأتيه مختلطة غير مفهومة ، ثم سرعان ماتضحت تدريجياً ، وكان الحديث هذه المرة متشعباً

قال أحدهم : قلت لكم انهم يخدعوننا ، يجب ان نفتح بعض الصناديق ونعد مابداخلها امامهم ·

أجابه صديقه بهمس : كيف نستطيع فتحها وإعادتها ثانية ؟ تذكر اننا يجب الا نبقى على الشاطئ اكثر من ربع ساعة ·

ـ وإذا نقص العدد عشرة مسدسات هذه المرة ، ماذا سنفعل ؟·

ـ لا ، هذه المرة سنهددهم ، ولن ندفع الثمن مقدماً في المرات القادمة ·

سمع أوينسي ذلك الحديث فارتعد ، وكأن ذكر الأسلحة هو الذي أرعبه ، لقد عرف الأن مالذي تحويه تلك الصناديق ؟ ولماذا تتم العملية كلها في هذا الوقت من الليل ؟ انها عملية تهريب ، وأيّ تهريب ؟ انه تهريب الأسلحة ·

في تلك اللحظة سمع صوتاً ثالثاً يقول :

ـ دعوا الحديث في هذا الأمر الآن ، سنتباحث معهم غداً في الفندق إذا كان هناك أي نقص·

سمع أوينسي هذه العبارة وتذكر شيئاً .. انه يعرف هذا الصوت ، فقد سبق أن سمعه وتحدث مع صاحبه ، أين ؟ .. أين ؟ وراح يفكر ، وبلحظة خاطفة عرف كل شئ ، انه الشاب الذي سرق فاكهته وانطلق بسيّارته مختفياً بين الادغال ·

ولو لم يكن أوينسي خائفاً مرتعباً لقام بنفس اللحظة وصاح بوجهه صارخاً · ولكنه ظل في مكانه جامداً بأنتظار اللحظة المناسبة·

في هذه الاثناء شاهد أوينسي الاشباح الثلاثة تقوم وتتجه الى الساحل ، ومثلما حدث في المرة السابقة جاء الزورق الصغير وهبط منه بعض الرجال ، وتعاون الجميع على نقل الصناديق الى الساحل ثم جاءت السيارة نفسها وتم نقل الصناديق اليها ثم مضوا في طريقهم مبتعدين عن المكان ، تلك الليلة لم يستطع «أوينسي» أن ينام الى الصباح فقد أحزنه ان يرى سارق فاكهته يمضي من أمامه وقد كان السبب في كل هذا البؤس الذي يعيشه الآن ·

٤

صار الآن يفكر في قضية أخرى .. قضية اكبر من سلال الفاكهة المسروقة واكبر من البحث عن العمل وتوفير المال · ومع انه ظل طوال الوقت مشغولاً بمصيره هو ومصير أمه المريضة واخوانه الصغار ، إلا ان شاغله الاساسي الان ، هو كيف يضع يده على هذه العصابة الخطرة التي تهدد أمن بلاده وأمن الملايين التي تعيش داخل هذه البلاد ·

هل يذهب الى الشرطة ويخبرهم بالامر ؟ ولكن ماذا سيقول لهم وليس لديه دليل واحد على ادعائه ؟ وإذا لم تصدقه الشرطة فماذا سيكون مصيره بعد ذلك ؟ لابد انهم سيسألونه عن سرّ بقائه حتى منتصف الليل في الحديقة ، ولابد ايضاً أن يكتشفوا

تسكعه ونومه هناك كل تلك الليالي ، وإذا عرفوا ذلك فسيكون مصيره واحداً من اثنين ، أما القاؤه في الحجز أو إعادته قسراً الى قريته · لذلك قرر أوينسي بينه وبين نفسه أن يحتفظ بالسر في صدره ، وأن يظلّ يراقبهم حتى يجد الفرصة المناسبة لكشفهم واخبار الشرطة بأمرهم ·

وهكذا قضى الايام التالية يعمل في النهار ويراقب في الليل ولا ينام إلا قليلاً ·

مضى على هذه الحالة اكثر من اسبوعين حتى كاد يصيبه اليأس ، وأوشك ان يترك الموضوع نهائياً ، ولكن هاجساً في اعماقه كان يدفعه الى الصبر والتريث ، خاصةً وان احد أفراد هذه العصابة قد كان سبباً في وضعه المزري الذي يعيشه الآن· وفي صباح أحد الايام وبينما كان «أوينسي» منهمكاً مع صديقه «شيخو» - الذي تعرف عليه اخيراً - بغسل احدى السيارات ، لمح سيارة خضراء تقف قربهم وينزل منها شاب وسيم طالباً غسلها ، وحين نظر اليه أوينسي عرفه بسرعة ، فقد سبق له أن رآه جيداً

وانطبعت صورته في ذاكرته .. انه هو ، ولا يمكن ان يكون شبيهاً له على الاطلاق · ومع انه حين رآه تلك المرة كان يقود سيارة حمراء إلا أن ذلك لايغير من الامر شيئاً ، فها هو الشاب الذي وقف أمامه قبل أسابيع يطلب منه وضع الفاكهة في صندوق السيارة ثم ينطلق دون ان يدفع له الثمن يعود ليقف قربه ثانيةً طالباً منه غسل سيارته هذه المرة ·

ترى ماذا سيفعل الآن ؟ هل يصرخ بوجهه مطالبا الثمن الفاكهة؟ وهل سيصدقه الناس حين يرونه يتهم هذا الشاب الأنيق وهو في حالته المزرية تلك ؟·

الافضل له ان يفكر جيداً قبل ان يقدم على فعل شئ تكون نتيجته وبالاً عليه ·

وهكذا أتمّ أوينسي وصديقه «شيخو» غسل السيارة الأولى وبدءا بغسل السيارة الخضراء بهدوء وكأنه لم يعرف صاحبها ولم يشاهده من قبل ·

بلل أوينسي قطعة القماش واقترب من رفّ السيارة لينظفه من

الوحول التي تغطيه وفي نيته ان يحفظه في ذاكرته ، ولكن صوت صاحب السيارة كان اسرع منه ، فقد صاح به آمراً :

ـ دعك من الرقم ياولد ، اتركه على حاله لاتنظفه . استجاب أوينسي لامر الشاب وراح يغسل جوانب السيارة ومقدمتها وزجاجها تاركاً الرقم على حاله يغطيه الوحل ، ولكنه كان بين لحظة وأخرى يدقق فيه ليحفظ تسلسل الارقام التي لم تكن واضحة إلا عن قرب .

في تلك اللحظة ، وبينما هو يفتح الباب لينظفه إذا به يفاجأ ببقعة صغيرة حمراء أسفل الباب ! لم تكن بقعة دم طبعاً ولم تكن تلوّث هيكل السيارة من الخارج ، وانما كانت تحت اللون الأخضر الذي هو لون السيارة . ولم يكن أوينسي بحاجة الى تفكير كثير لمعرفة السر ، فقد تأكد ان هذه السيارة الخضراء التي امامه الآن هي نفس السيارة الحمراء التي كان يقودها الشاب قبل أسابيع ، وان التغيير الوحيد الذي طرأ عليها هو اعادة

طلائها باللون الأخضر فقط .

واكتشف ايضاً لماذا لم يرغب صاحبها بتنظيف الرقم وازالة الوحل عنه . انها سيارة مسروقة بالتأكيد ، صمت أوينسي بعد ان عرف السرّ وقرّر بينه وبين نفسه شيئاً لم يبح به حتى الى صديقه «شيخو» .

وحين تم لهما غسل السيارة جيداً مدّ الشاب يده الى جيبه وأخرج نفس المحفظة التي رآها أوينسي من قبل ، لكنه هذه المرة سحب منها ورقة بخمسة شلنات وسلمها اليه. في تلك اللحظة احسّ أوينسي ان الشاب ركزّ نظره عليه وكأنه عرفه ، فاستدار ليبتعد قليلاً ولكن الشاب وضع يده على كتفه قائلاً :

ـ ياولد ، اظن انني رأيتك من قبل ؟

رفع أوينسي رأسه ببطء ونظر الى الشاب وقال بشئ من اللامبالاة :

ـ وكيف أدري ، ربما غسلت سيارتك من قبل ؟

• • •

وما إن انطلقت السيارة مبتعدة عن الساحل حتى قام أوينسي مسرعاً ليسجل رقمها بورقة صغيرة قبل ان ينساه · ثم جلس يفكر دون ان يعير صاحبه «شيخو» اهتماماً كبيراً وهو يدعوه لغسل سيارة أخرى وقفت في ذلك المكان ·

أصبحت القضية متشعبة بعض الشئ · هناك مهربون يشكلون عصابة خطرة تعكر الامن ، وقد اكتشف احد عناصرها وتأكد من انه لص خطير لم يسلم منه حتى الفقراء المعدمون من أمثاله ، فهل سيظل يبحث عن عدوه فقط أم يمضي قدماً في كشف خيوط هذه العصابة الخطرة ؟

راح يفكر في هذه المسألة حتى توصل بينه وبين نفسه الى قرار ، وفي صباح اليوم التالي كان أوينسي ينفذ الحلقة الاولى من خطته الجديدة ·

٥

تقدم أوينسي من ضابط المرور وقد ربط ساقه بلفائف بيضاء وهو يتكئ على عكاز من الخيزران ، وقدم له ورقة صغيرة ليس فيها سوى الرقم «٢٠٠٤ لاكوس» ، وبصوت خافت لايكاد يسمع أخبر الضابط بأن صاحب هذه السيارة قد دهسه وهرب ، وأنه يعاني الآن من رضوض في جسده وجروح في ساقه ، ويريد معرفة اسم صاحب السيارة وعنوانه كي يطالبه بشئ من النقود يستطيع ان يعالج نفسه بها ·

نظر الضابط الى أوينسي مشفقاً عليه ، فقد كان التعب والمرض واضحين على وجهه ، ولكنه طلب منه الانتظار قليلاً في الخارج· وحين استدار أوينسي خارجاً من الغرفة كان الضابط

يرمقه بنظرة متفحصة ، دقيقة ، فقد خطر بذهنه امر لم يكن اوينسي يدرك شيئاً منه وهو يخطو متأنياً خارج الغرفة. وبعد اكثر من ساعة قضاها في الانتظار استدعاه الضابط ثانية ، وما ان وقف أوينسي قباله حتى فاجأه الضابط قائلاً :

- ارفع ياولد هذه اللفائف ودعني أرى الجرح .

جمد أوينسي في مكانه ولم يستطع ان يفعل شيئاً ، فلم يكن يخطر بباله إطلاقاً ان يشك ضابط المرور بادعائه وهو لم يطلب سوى عنوان رجل دهسه في الطريق . وحين طال وقوف أوينسي وهو على تلك الحال صرخ به الضابط آمراً :

- قلت لك ارفع اللفائف .

جلس أوينسي على الارض في غرفة الضابط وراح يفك قطعة القماش البيضاء ببطءٍ وهو يعرف أن مابينه وبين افتضاح أمره أقل من دقيقة ، ولايدري ماذا سيفعل بعدها وكيف يتصرف ؟

وحين رفع اللفائف طلب منه الضابط ان يتقدم ويريه الجرح ، وبالفعل تقدم أوينسي حتى صار على بعد متر واحد ، ورفع

رجله محاولاً ان يبدو متعباً ، خائر القوى ، ولكن الضابط صرخ به :

- انها سليمة ... اين الجرح ؟
- انه رض كبير ياسيدي
- وهل تؤلمك ؟
- كثيراً جداً ياسيدي
- ولماذا تلفها بالقماش هكذا ؟
- لانها .. لأن ..

وحين لم يجد أوينسي مايقوله طأطأ رأسه أمام الضابط وظل صامتاً فترة من الوقت ، بعدها نادى الضابط أحد افراد الشرطة وطلب منه ان يأخذ أوينسي ويضعه في الغرفة المجاورة ولا يدعه يهرب .

في ذلك الوقت كان الضابط وبعض افراد شرطة المرور منهمكين بتقليب الاضابير والاوراق وهم يتهامسون فيما بينهم بكلمات غير واضحة. ولم يكن أوينسي يعرف ماذا يجري في الغرفة المجاورة وماذا سيفعل به الضابط بعد ان كشف زيف ادعائه ؟

مضى عليه وهو محجوز في الغرفة الضيقة اكثر من ساعتين ، ندم خلالها كثيراً على فعلته ، وتمنى لو انه أهمل القضية ولم يفكر بالبحث عن السارق . لقد أخطأ خطأ كبيراً ، وكان من الاجدر به أن يذهب الى الشرطة ويقدم شكوى على الشاب. دون الحاجة الى هذه التمثيلية الفاشلة التي ربما ستعود عليه بالضرر ، وبالفعل هاهي نتائجها السيئة قد بدأت ، وهاهو محجوز في غرفة ضيقة ولا يدري ماذا يدبر له الضابط الآن ؟

لم يسرح كثيراً في تفكيره ، فسرعان مااستدعاه الضابط ثانية ، وحين وقف أمامه أحسّ بنظراته القاسية تنغرس في اعماقه وتنبئ بما يضمره له من مكروه .

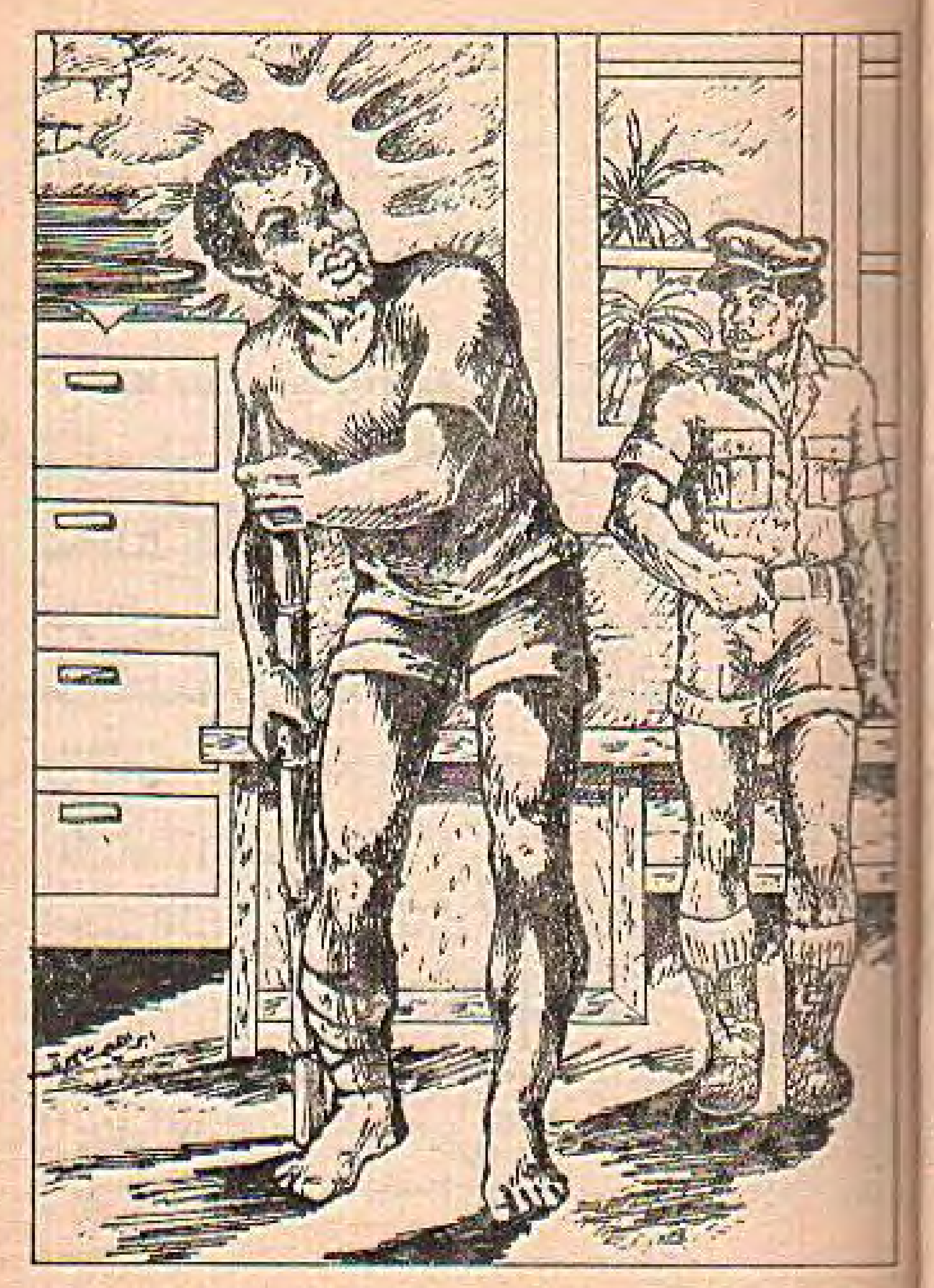
قال الضابط وهو مازال ينظر اليه بعينين يتطاير منها الشرر:

- قل الحقيقة .. لماذا جئت تسأل عن صاحب هذه السيارة ؟

- قلت لك الحقيقة ياسيدي .

- لاتحاول الكذب ، وقل الحقيقة .

- لم أقل سوى الحقيقة ، وإذا كنت ترى طلبي لامعنى له فدعني



وحين استدار اوينسي خارجا من الغرفة كان الضابط يرمقه بنظرة متفحصة ، دقيقة .

أذهب ، ولااريد أي تعويض ·

- تذهب !! الى أين ؟

- الى ... الى أهلي ·

- حسناً ستذهب ولكن بعد ان تخبرنا بكل شيئ ·

- ليس لدي مااقوله ، غير الذي اخبرتك به الان ·

بعد ذلك بدا الضابط هادئاً وراح يتحدث الى أوينسي بود محاولاً ان يستدرجه لكي يعترف بكل مايعرف ، ولكن أوينسي على مايبدو كان عنيداً ولايريد ان يورط نفسه بقضية قد لاتنتهي بسهولة وسلام ·

قال الضابط اخيراً :

- حسناً قلت تريد ان تذهب الى اهلك ، فاذا كنت حقاً ترغب بذلك فلماذا لاتخبرنا بكل شئ وتمضي ؟

اجاب أوينسي بنفس الهدوء واللامبالاة :

- ولكني لااعرف اي شئ ، اخبرني ماذا تريد بالضبط وسأقول لك ؟

- حسناً ، ومع اني متأكد جداً انك تعرف ماذا اريد فسأقول لك · ان هذه السيارة مسروقة وأنت تعرف سارقها فاخبرنا عنه بالتفصيل ·

وهنا احسّ أوينسي بوخزة عميقة في قلبه ، فهو يعرف حقاً ان السيارة مسروقة وان سائقها ليس سوى لص خطير تبحث عنه الشرطة ، وانه قد وضع نفسه طرفاً في قضية كان الافضل له ان يظل بعيداً عنها ، فماذا سيقول للشرطة الآن ؟·

وهل سيصدقون روايته بعد ان اكتشفوا زيف ادعائه وكذبه ؟ ولم يجد أوينسي بُداً من أن يعترف للضابط بكل شيئ فأخبره كيف وقفت السيارة الحمراء أمامه وهو يبيع الفاكهة في قريته «أيكوتا» ؟ وكيف ترك أمه المريضة وأخوانه الصغار وغادر القرية الى «لاكوس» ؟ ثم كيف قضى أيامه الاولى بلا عمل ، وروى للضابط أيضاً الاحداث الغريبة التي حصلت أمامه في منتصف الليل قرب الساحل ، ثم كيف جاء الشاب بسيارته الخضراء ولماذا لم يدعه ينظف رقم السيارة ؟ والبقعة الحمراء .. و

ولم يترك أوينسي شيئاً لم يخبر عنه الضابط ، ولما انتهى من قصته احس براحة عميقة وهو يرى الرجل ينصت اليه بكل جوارحه وكأنه يصدقه .

وفي النهاية أطلق سراحه ولكنه طلب منه ان ينسى الموضوع كله ولا يخبر احداً عنه ، فان الشرطة ستقوم بواجبها نيابة عنه وتلاحق اللصوص والمهربين .

٦

عاد «أوينسي» الى عمله وقد انزاح عنه هم كبير كان يجثم على صدره ليل نهار ، فقد تخلص من مراقبة اللصوص والمهربين ومن التفكير في امرهم مادامت القضية بكاملها قد اصبحت تحت إشراف الشرطة ، فهؤلاء ـ بما لديهم من أجهزة ومعدات ، وبما يمتازون به من خبرة ـ يستطيعون مكافحة الاجرام ومطاردة اللصوص والمهربين ، وقد سلم لهم طرف الخيط وما عليهم الآن إلا التوصل الى رأس الشبكة وخيوطها الاخرى المتصلة بعضها ببعض .

وهكذا عاد الى عمله على الساحل مع صديقه «شيخو» لتوفير القليل من النقود كي يستطيع السفر الى قريته ومساعدة أمه المريضة واخوانه الصغار .

بعد ذلك بأيام اخذ يفكر بالبحث عن غرفة صغيرة يأوى اليها

بدلاً من النوم في الحديقة معرضاً نفسه للاخطار ، ثم راح بعدها يدور في الاحياء الفقيرة مع صديقه «شيخو» باحثاً عن غرفة رخيصة من تلك التي يشترك باستئجارها إثنان او ثلاثة من العمال ، وبقي يبحث عدة أيام دون جدوى ، فقد كانت جميع الغرف التي شاهدها غاليةً في نظره ولا يستطيع بما يحصل عليه من مالٍ قليل دفع ايجارها لوحده. وهكذا كان يعود الى مكانه المعتاد في الحديقة فينام الى الصباح حيث يلتقي ثانية مع «شيخو» وينهمكان بالعمل .

وفي أحد الايام عاد «أوينسي» من بحثه الطويل مُتعباً من كثرة ماتجول في الاحياء الفقيرة المزدحمة بالسكان ، فنام مبكراً غير عابئ بحرارة الأرض والبعوض الذي بدأ يزداد هذه الايام بسبب سخونة الجو وارتفاع درجات الرطوبة فيه .

وبعد انتصاف الليل أحسّ بأن يداً غليظة تمسك به من رجليه فاستيقظ فزعاً ، مرعوباً ، وحين لم يجد شيئاً اعتقد انه في حلم ، فغالباً ما كان يحلم وهو نائم على الارض أحلاماً مزعجة وكوابيس

لاتتركه حتى يستيقظ فيتكئ بعدها على احدى الشجرتين ليطرد الحلم الثقيل ثم يعود الى النوم ثانيةً. وبالفعل جلس كعادته ماسحاً عينيه بكفه ، محاولاً طرد هذا الكابوس اللعين وكانت الحديقة في تلك الساعة هادئة، ساكنة ، لايعكر سكونها سوى صوت الجنادب والضفادع وطيور الليل وهي تطلق اصواتها الرتيبة التي تشكل جزءً من طبيعة الغابة التي اعتادها منذ ايام طفولته الاولى .

وقبل ان يعود الى النوم ثانية القى بنظرة خاطفة الى البحر فالفاه ساكناً ، هادئاً قد خمدت أمواجه وانطفأت مصابيح الصيادين فخمدوا أيضاً وناموا في قواربهم بعد عملٍ مضنٍ طويل. كان الجو الدافئ الرطب يغري بالنوم ويساعد المتعبين من أمثاله على الاستسلام له ، فراح أوينسي يغط ثانيةً بالنوم العميق مطمئناً ، خالياً من كل مايعكر أمنه وراحته. وما ان مضى على نومه بعض الوقت حتى قام فزعاً مرعوباً ، فقد أحسّ ان الكابوس يعاوده ثانيةً وكأنه يجثم على صدره مثل حيوان

ثقيل مفترس ، وقتها وجد يديه ورجليه قد خمدت تحت ثقل كبير ، ولم يعد بمقدوره أن يحرك أحدها أو يزيح عنها هذا الثقل ، ففتح فمه صارخاً ولكن القوة التي كبلت يديه ورجليه امتدت الى فمه فأغلقته أيضاً ، وعندما استيقظ أخيراً عرف ان الامر ليس مجرد حلم او كابوس يجثم على صدره ، انما هناك قوة حقيقية تهاجمه وتحاول الفتك به ، وها هو يستسلم لها ويفقد كل أمل في الصدّ والمقاومة. وحين وجد نفسه يرتفع قليلاً عن الارض عرف جيداً ان هناك أيدي بشرية تحمله وتسير به .

لقد سقط إذن في فخ جديد لايعرف كيف يتخلص منه وينجو بجلده من عدوانه ؟ أحسّ ان يديه ورجليه موثقتان بقوة ، وان فمه مكم. حتى عيناه اللتان مازالتا مفتوحتين كانتا لا تعينانه على رؤية أعدائه وسط ظلام الليل وعتمته الشديدة.

ظل «أوينسي» محولاً مسافة قصيرة لايسمع فيها سوى انفاس مختطفيه اللاهثة السريعة وحركة أقدامهم وأنكسار العشب تحتها. كاز يقاوم بشدة ولكن كا يقاوم غصن شجرة طري

هبوب رياح عاصفة عليه ، هل يستطيع ان يفعل شيئاً وهو بلا حول ولا قوة ؟

انها لحظات قاسية يعرف كيف سيكون مصيره بعدها إذا لم ينج الأن ، ويعرف أيضاً ان هؤلاء الذين يغامرون في منتصف الليل لاختطافه لم تكن مغامرتهم عبثاً ولا لهواً .

وهكذا لم يترك مختطفيه يحملونه كا يحملون صندوقاً صغيراً أو كيساً من الرمل ، بل قاومهم بشدة وتحوّل بين أيديهم الى لعبة خطرة لايستطيعون ايصالها الى السيارة بسهولة ، كانت يداه الموثقتان ورجلاه تندفع في كل الاتجاهات فترتطم بصدورهم ورؤوسهم بقوة حتى لم يجدوا بُداً من طرحه على الارض . في تلك اللحظة أفلت الوثاق من يديه واوشكت رجلاه ان تتحررا أيضاً ، وقبل أن يقف على قدميه محاولاً الهرب أحسّ بسقوط شئ ثقيل على رأسه ، بعدها غاب عن الوعي ولم يعُد يشعر حتى بالدماء الساخنة وهي تسيل على رقبته وصدره .

٧

حين فتح أوينسي عينيه في صباح اليوم التالي كان يشعر بثقل كبير في رأسه وخمول يسري في جسده كله ، ولما نظر الى الغرفة الصغيرة المغلقة التي وجد نفسه فيها تذكرّ أحداث الليلة الماضية وكيف حمله مجهولون وهو نائم ، وتحسسّ رأسه فعرف سرّ إغمائه وغيابه عن الوعي كل هذه المدة. انه الآن سجين في غرفة ضيقة خالية من كل شئ ، ليس فيها سوى كوة صغيرة في اعلى الجدار .

راد ان يعرف أين هو الان ؟ أما زال في المدينة أم أنهم نقلوه الى مكان آخر خارجها ؟ وحاول أن يجد سبباً لكل هذا العقاب الذي يلاقيه وهو الذي لم يؤذِ أحداً ولم يرتكب إثماً. ثم تذكرّ

الشاب الذي سرق الفاكهة وعصابته التي أخبر عنها رجال الشرطة . ليس هناك سواهم من يهمه أمره ، فربما عرفوا مافعله حين ذهب الى ضابط المرور وأخبره بكل شئ ، وهم الآن يدبّرون له عقاباً مناسباً لفعلته تلك .

نظر في زوايا الغرفة فلم يجد شيئاً ، وحاول أن يثب ليمسك بقضبان الكوة الصغيرة ويرى أين هو الآن ؟ فلم يستطع بسبب الضربة القوية التي تلقاها على رأسه والانهاك الذي لحقه من مقاومة المختطفين. وحين عجز عن كل ذلك راح ينصت بصمت الى الاصوات وهي تأتي اليه من الخارج. لقد تأكد له الآن انه بعيدٌ عن المدينة ، فليس هناك أي أثر لضوضائها وضجيج السيارات والباعة المتجولين ، وبدلاً من كل ذلك كان المكان يعج بهديل الطيور وزقزقة العصافير. عرف أنه سجين في مكان ما من الغابة ، فقد نقله مختطفوه بعد ان عرفوا انه السبب الذي كان وراء مطاردة الشرطة لهم ، وليس أمامه الآن سوى الهرب. وإذا لم يجد وسيلة للخلاص من هذا السجن فانهم بلا



حين فتح اوينسي عينيه في صباح اليوم التالي كان يشعر بثقل كبير في راسه .

شك سيتخلصون منه بأسرع مما يتصور .

ولكن كيف يهرب وهو بين هذه الجدران الاربعة ؟ لم يضع أوينسي الوقت في التفكير وراح يبحث في زوايا الغرفة ثانية علهٔ يجد آلة تعينه على كسر الباب ، ولكن هيهات فالغرفة خالية وكأنها أعدّت للسجناء الخطرين وأصحاب السوابق. مدّ يديه في جيوبه فلم يجد سوى نصف رغيف من الخبز وعلبتي دخان وكبريت كان قد نسيها في الحديقة أحد الذين تركوا سياراتهم لغسلها أمس. في تلك اللحظة بدأ اليأس يتسرب اليه ويفت في عزيمته وإقدامه على الهرب. وحين جلس على الارض سمع وقع أقدام تقترب من الغرفة ، وقبل أن يقف ليرى القادم من خلال الثقب إنفتح الباب وظهر أمامه ثلاثة رجال بوجوه شرسة غاضبة ، عرف فيهم صاحبه الشاب من النظرة الاولى ، وحين صار أمامهم فاجأه هذا بضربة قوية على وجهه لم يستطع تلافيها فاندفع مرتطماً بالجدار الذي خلفه .

قال الشاب موجهاً كلامه الى أوينسي ، ومازالت يده مرفوعة

الى فوق تتهيأ لضربه ثانية :

ـ هل كنت تتصور ان باستطاعتك القبض علينا ؟

اجاب أوينسي ببرود :

ـ لاأعرف عمّ تتحدث ايها الرجل ؟

ـ بل تعرف جيداً .. لاتحاول الانكار.

ـ قلت لك لاأعرف ، ماهي الحكاية ؟

ـ حسناً ستعرف بعد قليل ، ولكن سيكون من الصعب عليك إخبار الشرطة ثانية .

صمت أوينسي وطأطأ رأسه حين سمع ذلك ، فقد كان حدسه في مكانه. لقد أخبرهم أحدٌ بأنه هو الذي وشى بهم الى الشرطة ، ولابد انهم وضعوا الاحتياطات اللازمة لذلك ، وهذا هو سر اختفائهم كل هذه المدة.

وتذكر لماذالم يرسُ الزورق امام الحديقة لأكثر من اسبوعين ؟ ولماذا لم تأتِ السيارة في منتصف الليل لتسلم الشحنات المهربة ؟

في تلك اللحظة غادر الرجال الثلاثة الغرفة بعد ان أحكموا

اغلاقها من الخارج ، فقد سمع صرير المفتاح في القفل ووقع أقدامهم وهي تبتعد قليلاً قليلاً .

• • •

جلس أوينسي بانتظار مصيره الغامض الذي راح يرسمه له اعداؤه. نظر من خلال الكوة التي تطل من ورائها السماء الزرقاء وراح يفكر ثانية .

ليس لديه الآن من طريق للخلاص سوى هذه الكوة مادامت الغرفة خالية من كل شئ. ولكن ماذا تستطيع هذه الكوة الصغيرة أن تقدم له من عون ؟ وحتى لو وثب اليها كالأرنب وتعلّق بقضبانها ، هل يجد أحداً يساعده على الخروج وهو يعرف انه سجين داخل بيت مثل قلعة بعيدة عن الطريق العام؟

وإذا أطلق صوته وصرخ مستنجداً بالناس فهل هناك من ينجده في هذا المكان ؟

كانت كل الدروب مسدودة بوجهه وليس امامه سوى الانتظار والاستسلام الكامل لهذه العصابة المجرمة الخطيرة .

ولكن أوينسي الذي علمته حياته الخشنة الآ يستسلم بسهولة ، جلس ثانية على الارض وراح يفكر بالخلاص . وحين مدّ يده الى جيبه وجد علبة السيكاير وعلبة الكبريت فأخرجها ووضعها أمامه. وفي لحظة خاطفة خطرت على باله فكرة جريئة ، ولكن عليه أن يتدبر أمره جيداً قبل البدء بتنفيذها ، فأذا مافشلت فسيكون مصيره مظلماً لامحالة .

جمع قوته وقفز كي يتعلق بقضبان الكوة ، ولكن جسده المرهق والضعف الذي سببته له الضربة القوية على رأسه منعته من الوصول اليها . كرر المحاولة مرةً ومرتين ، وفي الثالثة كان يمسك بالقضبان بقوة ويرفع جسده كي يرى المكان الذي يحيط بسجنه .

كان المكان كما تصوره أوينسي ... بيت كبير داخل الغابة ، محاطاً بأسوار عالية وتظلله أشجار المانجو وجوز الهند من كل

جوانبه ، وحين نظر الى يساره وجد بوابة البيت الحديدية على بعد عدة أمتار من غرفته ورأى رجلاً يجلس على صندوق خشبي وينظر الى جهة الشارع ، عرف انه حارس البيت .

هبط ثانية وقد استعاد نشاطه الأول وحيويته وبدأ تنفيذ خطته. خلع قميصه أولاً ثم سرواله الممزق ولفهما على رقبته ، ولم يبق على جسده سوى ملابسه الداخلية ، وكالقرد المدرب وثب وتعلق مرةً أخرى بقضبان الكوة فقد اعطته هذه الفكرة الجريئة قوة وعزيمة جعلته خفيفاً ، نشطاً. في تلك اللحظة مدّ يده وأخرج عود ثقاب من علبة الكبريت التي وضعها بين أسنانه ، وبأقل من دقيقة كانت ألسنة النيران والدخان تنبعث من الكوة الصغيرة بكثافة ، وصرخات الاستنجاد تُسمع من داخل الغرفة عاليةً تشقّ صمت المكان وسكونه .

وحين التفت الحارس رأى المنظر المفزع أمامه .. كانت النار تشب في الغرفة الصغيرة وألسنة اللهب والدخان تخرج من الكوة بكثافة ، فترك كرسيه الى باب الغرفة كي ينقذ السجين الذي

بداخلها دون ان يعلم شيئاً عما ينفذه ذلك السجين من خطة محكمة للهرب .

• • •

في المساء عاد الرجال الثلاثة الى البيت ودخلوا بسياراتهم من البوابة الكبيرة المفتوحة ، وحين ترجلوا عنها صرخ «آجيبي» منادياً الحارس الذي لم يكن موجوداً في مكانه ، ولكن هنا لم يرد على نداء سيده ولم يقفز كعادته حين يكون بعيداً عن الباب للقائه وتحيته ، وبلحظة واحدة اتجه الرجال الثلاثة راكضين الى الغرفة التي سجن فيها «أوينسي» ، وحين دفعوا الباب هالهم المنظر الذي امامهم. لقد كان الحارس ممدداً على أرض الغرفة فاقد الوعي وآثار رمادٍ ودخان تملأ المكان من حوله ، ولا أثر لأوينسي هناك ، ووجدوا قربه سروالاً وقميصاً قديمين إحترقا حتى لم يبق منهما إلا آثار قليلة ، عرفوا بسرعة انها ملابس الصبي السجين وانه قد أحرقها ليوهم الحارس بأن حريقاً قد شب في غرفته .

جمد الرجال الثلاثة في اماكنهم وراح كل واحدٍ يحدق بوجه الآخر. لقد هرب الصبي إذن ولابد انه الآن في طريقه لأخبار الشرطة. وبأقل من ساعة كانت السيارة تنطلق خارجة من البوابة الحديدية ، وعليها عدد من الصناديق المغلقة وقد تمدد فوقها الحارس الذي بدأ يستعيد وعيه تدريجياً .

٨

بعد تلك الحادثة مباشرة كان الجميع يعيش حالة مروعة من الفزع ، فأوينسي الذي هرب تاركاً الحارس ملقىً على الارض بعد أن نفذ خطته الجريئة بأحكام كان يخشى ملاحقة اللصوص ومطاردتهم .

لقد فتح الحارس الباب مسرعاً بعد أن رأى النيران تشب وترتفع ألسنتها الى الاعلى محاولاً انقاذ السجين وحجزه في مكان آخر حتى عودة أفراد العصابة ، الا ان السجين كان يقف في تلك اللحظة خلف الباب بانتظار دخول الحارس ، وما إن أدخل هذا رأسه حتى فاجأه موجهاً اليه ضربات موجعة وقع على أثرها مغمياً عليه. وبعد هروبه ظل لعدة ساعات يحاول الخروج من الغابة والوصول الى المدينة ولكنه كان يجهل الطريق المؤدي الى «لاكوس» ، ويخشى طرح الاسئلة على المارة

كي لايراه اللصوص الذين لابد وانهم يعيشون حالة هيستيرية عصيبة بعد أن عرفهم وكشف مكانهم .

أما اللصوص فقد كان وضعهم لايقل عن وضع أوينسي من الارتباك والذعر . فحين عرفوا بهروبه سارعوا الى اخلاء البيت من كل الصناديق المهربة والسلع والآثار التي تدل عليهم وعلى احترافهم السرقة والتهريب ، ثم راحوا يبحثون عن «أوينسي» في كل طرق الغابة المؤدية الى المدينة ، وحين لم يجدوا له اي أثر غادروا البيت نهائياً ولم يتركوا فيه إلا الأثاث العادي الذي تحتوي على مثله كل البيوت .

ولما وصل «أوينسي» الى «لاكوس» ذهب مباشرة الى بيت صديقه «شيخو» فتعجب هذا من غيابه يوماً كاملاً دون ان يخبره بذلك. وبعد ان استراح قليلاً قصّ عليه الحكاية بالتفصيل ، فجلس «شيخو» مندهشاً من غرابة القصة ، ومن الطريقة التي استطاع فيها التخلص من شرور اولئك المجرمين ، ونصحه بالذهاب الى الشرطة واخبارهم بتفاصيل الحادث فوراً .

في تلك اللحظة لم يجد أوينسي غير الصمت يقابل به انفعال صديقه «شيخو» ، ثم راح يتذكر قصته السابقة مع ضابط المرور ، وكيف كانت تجربة قاسية لم يحصد منها غير الندم والأسف فرفع رأسه الى صديقه قائلاً :

- لن اخبر أحداً غيرك ·
- ولكن يجب اخبار الشرطة ·
- لا ياصديقي ... وإذا كنت ترغب معي في معاقبة هؤلاء الاشرار فدعنا نقم بالعملية وحدنا ، وحين نجد الدليل الكافي سنخبر الشرطة ·

أجاب شيخو :

- ولكن أليس هذا دليلاً كافياً ؟ ان الجرح مازال طرياً في رأسك ، وفوق ذلك فانت تعرف مكان البيت وتستطيع التعرف على وجوه المعتدين ·
- هذه ليست أدلة كافية ، فهم سينكرون كل شئ وسيزيلون كل أثر لجرائمهم من البيت ·

- وماذا نستطيع نحن عمله وهم أقوى منا واكثر عدداً ؟
- سنحاول
- وإذا لم تنفع المحاولة ؟
- لنبدأ أولاً ·
- «حسناً» أجاب شيخو ، ثم أضاف :
- سأكون معك ولكن اذا عجزنا ، عدني بأنك ستذهب معي لأخبار الشرطة ·
- أعدك بذلك ·

وبعد ان تم الاتفاق على هذه الصيغة راح الاثنان يخططان دون أن يخبرا أحداً بشئ ·

كانت الخطوة الاولى بعد عدة أيام من حادثة اختطاف «أوينسي» ، فقد تركا لافراد هذه العصابة الخطرة فترة من الوقت ليتأكدو من أن الصبي الهارب لم يخبر أحداً بتفاصيل الاختطاف ، وليطمئنوا على عدم ملاحقة الشرطة لهم · بعدها خرج أوينسي متخفياً قدر المستطاع واتجه نحو البيت الذي

سُجن فيه وراح يراقبه من بعيد. ظلّ لعدة ايام فلم يمسك بخيط يقوده الى اللصوص ، إذ أن البيت كان هادئاً ، ساكناً وكأنه خالٍ من السكان ، فلا الحارس الذي اعتاد الجلوس قرب الباب كان هناك ، ولا أحد يخرج منه أو يدخل اليه ، حتى أوشك اليأس أن يتسرب الى «أوينسي» وصديقه «شيخو» وكادا يتركان الامر نهائياً .

وفي اليوم الخامس اقتربت سيارة صغيرة من البيت ثم توقفت أمام البوابة الحديدية ونزل منها رجل بدين ، قصير القامة ، أخرج من جيبه مفتاحاً وفتح الباب. في تلك اللحظة كان الصبيان يختبئان خلف احدى الاشجار في مواجهة البيت. ولما أدخل الرجل سيارته من البوابة الرئيسية رآه الصبيان وهو يهبط ثانية وتهبط معه امرأة في مثل سنه ، فيغلق الباب الحديدية ويدخلان الى داخل الدار .

التفت «شيخو» الى «أوينسي» مستفسراً عما إذا كان الرجل هو احد أفراد العصابة ام لا ؟ فأجابه أوينسي بالنفي وبأنه لم يره

إلا هذه المرة ، فأستغرب «شيخو» من ذلك وبادر صديقه قائلاً:

ـ ولكن ألا تظن انك قد أخطأت البيت ياعزيزي ؟.

أجاب «أوينسي» مازحاً :

ـ كيف اخطئ وقد عشت فيه يوماً كاملاً ؟ ثم اردف يقول:

ـ لماذا لاتتوقع ذلك ؟ لقد غادره اللصوص بعد اكتشاف أمرهم وتركوا هذين الشخصين للخداع والتمويه.

ـ إذن أنت تعتقد أن لهذين الشخصين علاقة باللصوص أيضاً ؟

ـ نعم أعتقد ذلك .

ـ إذا كان هذا رأيك فلنستمر بالمراقبة إذن.

ـ وهل اخبرتك انني سأتراجع ؟

وهكذا دار الحوار بين «أوينسي» و «شيخو» وهما مختبئان خلف جذع شجرة كبيرة في الجانب الآخر من الشارع يراقبان كل مايدور هناك .

وبقيا على هذه الحالة مايقارب الاسبوع

● ● ●

٩

في مساء احد الايام كانت الخطة قد دخلت مرحلتها الثانية ، وكان الصبيان يحاولان أن يجدا الخيط الذي يربط هذين الشخصين بالعصابة ، فقد كانا يغادران البيت بسيارتها كل مساء ثم يعودان اليه بعد ساعات ٠

أحسَّ «أوينسي» وصديقه انهما إذا ظلا على هذه الحالة يراقبان الشخصين من بعيد وهما يبتعدان بالسيارة فليس بأمكانهما معرفة شئ أبداً حتى لو استمرا يراقبانها سنة كاملة ، لهذا خرجا ذلك المساء على دراجة «شيخو» واتجها نحو البيت ، وعلى بعد ميل تقريباً كمنا في منعطف بين الاشجار وراحا ينتظران تنفيذ الخطوة القادمة ٠

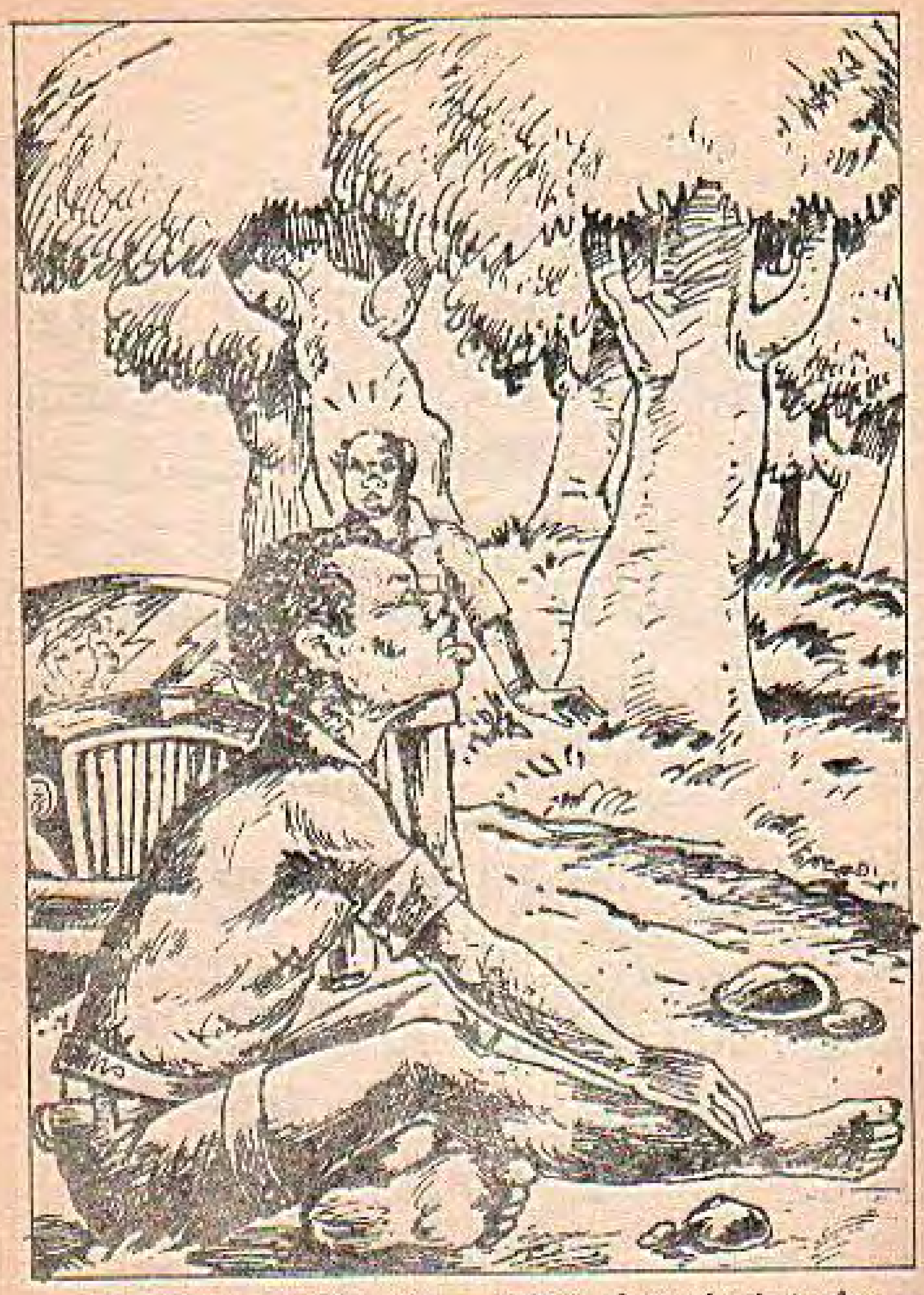
بعد أقل من ساعة لمحا السيارة من بعيد وهي تتجه اليهما في طريقها الى لاكوس ، وكانت تسير على مهمل بين منعطفات الغابة وطرقها الترابية الضيقة٠ فجأةً ظهر شيخو من بين الأشجار وهو يمتطي دراجته عابراً الشارع بنفس اللحظة التي مرت بها السيارة ، فاوقف الرجل سيارته مسرعاً وقد فوجئ بظهور الدراجة من بين الاشجار حيث لم يكن يتوقع على الاطلاق عبور أي كائن من امامه٠ بعدها سمع صوت ارتطام الدراجة بالجانب الأيسر من هيكل السيارة فهبط مسرعاً وهرع الى الفتى الصغير الذي سقط عن دراجته وراح يئن ويتأوه ممسكاً ساقه بيديه وكأنه يعاني من ألم قاتل ٠

لم يستطع الرجل ان يفعل شيئاً وهو يرى الفتى الصغير يئن ويتأوه ٠ لقد ظنّ ان حادثاً مروعاً قد وقع ، وأن هذه الضربة المفاجئة ربما أصابته اصابة بالغة في ساقه ، وحين هبطت المرأة التي كانت جواره ، حاولا معاً معرفة الضرر الذي اصاب الصبي كان هذا مشغولاً عنهما بألمه وتوجعه ، ورفض ان يرفع السروال

قليلاً ويريها أثر الضربة. ولما إزداد ألم الصبي وبدأ يتحول الى صراخ حاد وعويل لم يجدا حلاً سوى حمله معهما مع دراجته والانطلاق به الى المستشفى. وفي الطريق بدأ صراخ الصبي يخفت تدريجياً ، لكنه ظل يتأوه ويتوجع كما لو أن الاصابة بالغة فعلاً .

كان «شيخو» يجلس في المقعد الخلفي وراء الرجل الذي يقود السيارة مباشرة في حين جلست المرأة بجانب زوجها وراحت تلتفت الى الصبي بين فترة واخرى مبديةً اسفها الشديد وحزنها عليه وهو يتألم . وحاولت التخفيف من أوجاعه بعبارات ودية طيبة وعبارات أخرى تشجيعية تثير فيه الصلابة والقدرة على تحمل الألم .

أما الرجل فقد كان يقود سيارته بهدوء وصمت ، وراح يحدق بين وقت وآخر في المرآة التي أمامه. وفجأة التفت الى «شيخو» وعيناه تقدحان شرراً ، وحين التقت عيونهما أحسّ الصبي بأن



وراح « شيخو » يئن ويتأوه ممسكاً ساقه بيديه وكأنه يعاني من ألم قاتل .

نظرات الرجل لاتحمل له الود والحنان اللذين أحسهما بنظرات المرأة الطيبة التي تجلس جواره ، ولكنه لم يعر الرجل ولا نظراته الشريرة اي اهتمام . وقبل أن تصل السيارة بهم الى المستشفى التفت الرجل الى «شيخو» ثانية وحدق به بنفس العينين الجامدتين المتوقدتين قائلاً:

قل ياولد ، هل عملت بغسل السيارات من قبل ؟

أجاب «شيخو» وقد أصابه الهلع من سؤال الرجل الغريب :

ـ لاياسيدي ، لم أعمل بغسل السيارات أبداً .

ـ إذن أين كنت تعمل ؟

ولم يكن «شيخو» قد تهيأ للاجابة على مثل هذه الاسئلة فتلكأ قليلاً ثم قال :

ـ أنا اعمل مع ابي .

ـ وأين يعمل أبوك ؟

ـ لدينا مخزن صغير لبيع الملابس في أوكيادو .

نظر الرجل الى «شيخو» وكأنه يتفحصه جيداً ، وراحت نظراته

تنتقل من وجه الصبي الى ملابسه والى ساقه المصابة ثم تستقر ثانية في عينيه ، فأحسّ «شيخو» بالارتباك الشديد والجزع ، إذ أن نظرات الرجل كانت تشير الى انه عرف كل شئ وانه لايصدق كل ماقاله حول عمله وعمل أبيه ، وما تلك الاسئلة المفاجئة إلا لأنه بدأ يشك فيه وفي إصابته وتأوهه الذي لم ينقطع .

• • •

ظلت السيارة تسير بهم في طرق ملتوية متعرجة في الغابة. لقد أمضوا أكثر من نصف ساعة في الطريق ، ولو كان السائق متوجهاً الى المدينة لوصلها الآن ؛ ولكنه ـ كما يبدو ـ يسير في اتجاه آخر ، إذ ان علامات المدينة الكبيرة لم تظهر بعد . وحين أخذ شيخو يحدق في الطريق من خلال زجاج السيارة تأكدّ له ان هناك شيئاً مايخطط له الرجل ويحاول إخفاءه عنه .

وقبل ان يطرح عليه الصبي سؤالاً أو استفساراً عن عدم وصولهم الى المستشفى لحد الآن ، جاء ذلك السؤال من جانب المرأة ، فقد التفتت الى زوجها فجأة وسألته :

- اين تذهب بنا ياعزيزي ؟
- سنصل بعد قليل .
- ولكننا نريد المستشفى ، الا ترى الصبي يتألم ؟
- لايهم سنصل حالاً .

من هذا الحوار الغامض عرف «شيخو» نية الرجل السيئة وما يضمره له من شرور ، لكنه لم ينبس بكلمة واحدة وظل كأنه مشغول بنفسه عن كل مايدور حوله .

فجأة توقفت السيارة أمام بيت كبير في الغابة ، ثم التفت الرجل الى «شيخو» وهو يخفي حقده وشروره خلف بسمة مصطنعة ، كاذبة ، ثم قال :

- سننزل هنا وسأستدعي لك طبيباً حاذقاً ثم اعيدك الى بيتك

لم يستطع « شيخو » ان يقول شيئاً فأمتثل لأرادة الرجل وهبط عن السيارة حيث سارعت المرأة الى مساعدته في النزول ، ومازالت علامات الاستغراب والدهشة مرتسمة على وجهها بسبب تصرف زوجها الغريب .

وحين استقرّ الثلاثة في احدى غرف الدار خرج الرجل لاستدعاء الطبيب بالتلفون كما قال ، ثم نادى على زوجته فخرجت هي الاخرى وتركت الصبي وحيداً في الغرفة . وبعد دقائق عادت المرأة ثانية وبيدها قدح من عصير البرتقال قدّمته اليه فشربه شاكراً ، وحين نظر الى عينيها وهي تأخذ القدح الفارغ منه احسّ فيها بمزيج غريب منَ نظراتها الطيبة الوادعة ونظرات الرجل القاسية الشريرة ، فعرف ان زوجها قد اخبرها بشكوكه ، وانها ماعادت تنظر اليه تلك النظرات العذبة المليئة بالطيبة والحنان .

مع كل ذلك كان «شيخو» يتصرف وكأنه لم يشعر بأيّ تغيّر في سلوك الشخصين اللذين رافقهما الى هذا البيت المنعزل في الغابة

، وظل يتأوه بين فترة واخرى ، ويمدّ ساقه المصابة الى الامام موحياً لهما بصدقه وصحة إدعائه. وحين عادا الى الغرفة ثانيةً أخبراه بأن الطبيب قادم وانه في طريقه الآن اليهم .

وبالفعل لم يمض على وصولهم والاتصال بالطبيب سوى دقائق معدودة حتى رنّ الجرس معلناً قدومه ، وحين خرج الرجل لاستقباله ، وقفت المرأة - وهي مازالت قرب شيخو - وقد تغيّرت ملامحها قليلاً واصفرّ وجهها ، كأنما هناك سرّ خطير سوف يُعلن عنه بعد قليل. وفي تلك اللحظة انفتح باب الغرفة وأطلّ منه رجلان غريبان كانا يلهثان من التعب ، والعرق يغطي وجهيهما فكانهما قطعا مسافة عشرة أميال جرياً في الغابةدون توقف .

أحسّ شيخو بالذعر في البداية بسبب منظر الرجلين الغريبين وتلهفهما على رؤيته والتحديق بوجهه ، فقد أحسّ بما لايقبل الشك بأن فكرة الاتصال بالطبيب ومعالجته في البيت لم تكن سوى لعبة وخديعة لعبها الرجل لتغطية مسألة أخرى كان يحاول التحقق منها والتأكد من صحتها .

كان شيخو ينظر الى الرجلين وهما يحدقان به بهذا الشكل المروّع دون أن يتسرب الهلع الى قلبه ، فقد كان يعرف لماذا جاء الرجل به الى البيت ؟ ولماذا أتصل بهذين الشخصين؟ ولمَ يبحث الجميع في تلك الساعة ؟

عرف كل ذلك حين سأله الرجل وهو في السيارة عمّا إذا كان قد عمل بغسل السيارات أم لا ؟إنهم اذن لايقصدونه هو بالذات ، بل يقصدون أوينسي. ولو كان هؤلاء يعرفون من وراء هذه الخطة لجنّ جنونهم من العجب ، ولكن كيف لهم معرفة ذلك وأوينسي الآن بعيد عنهم ؟.

• • •

بعد ان القى الرجلان نظرات متفحصة على شيخو التفتا الى

الرجل القصير الذي ظلّ واقفاً خلفهما ينتظر النتيجة وقالا بصوت واحد :

ـ ليس هو ٠

فجأة أحسّ هذا بأن كل شكوكه تنهار دفعة واحدة ، وانه قد ارتكب خطأ كبيراً بأتهام الصبي الذي مرّ بدراجته أمامه وكاد يقتله تحت العجلات٠ وكأنه لم يصدق ماسمع من الرجلين نظر اليهما مستفسراً وقال بهدوء بعد ان اقترب وصار امامهما :

ـ ماذا ؟

ـ ليس الصبي الذي تبحث عنه ، لقد رأيناه جيداً ولايمكن أن نخطئ أبداً ٠

وكان شيخو في تلك اللحظة ينظر الى الجميع وكأنه لايعي شيئاً مما يقولون ، ولكنه حينما سمع حديثهم وعرف مايدور بينهم بالضبط ٠ قال موجهاً كلامه الى الرجل القصير الذي كان يقود السيارة مع زوجته :

ـ لماذا لايفحصني الطبيب ياسيدي ؟

اجاب الرجل وقد بدا عليه الارتباك واضحاً :

ـ لا .. لا .. من الافضل ان نمضي الى المستشفى٠

● ● ●

وفي الطريق الى المستشفى راح الرجل يحاول إقناع «شيخو» بالذهاب لوحده هناك والاتصال به إذا ما احتاج الى اية مساعدة ٠

لم يصرّ شيخو على ان يصطحباه معهما الى المستشفى واكتفى بالجنيهات الخمسة التي تسلّمها من الرجل القصير لشراء الدواء اللازم ولأصلاح دراجته المتضررة ، ودسّ الورقة الصغيرة التي كتب عليها الرجل عنوان البيت ورقم الهاتف في جيبه ثم مضى الى بيته حيث كان «أوينسي» ينتظره هناك ٠

١٠

روى «شيخو» لصديقه «أوينسي» كل ماجرى له مع الرجل القصير وزوجته ، بعد أن رمى بنفسه على جانب السيارة حسب الخطة. ثم روى له كيف سارت الأمور كما رسمها أوينسي بالتفصيل ، وهاهما يكتشفان أحد الأوكار الجديدة للعصابة ويكتشفان أيضاً صلة هذين الشخصين بها وعلاقتها بأفرادها جميعاً.

لقد اتضح لهما الآن خطورة هذه اللعبة ، وخطورة الاقتراب منها الى هذا الحد ، خاصة بعد أن عرفا قوة العصابة وقدرتها على السرقة: والاختطاف والتهريب . فقد نشرت الصحف أخباراً عن عدة حوادث وقعت في المدينة .. إختطاف اشخاص وسرقة محلات ومصارف كبيرة ونوادٍ ليلية وغير ذلك . وتبيّن من وصف الشهود وملاحظة آثار العمليات أن وراء هذه الحوادث كلها العصابة التي يريد أوينسي وصديقه «شيخو» القبض على أفرادها دون مساعدة الشرطة .

ظل أوينسي وشيخو عدة ايام عاجزين عن فعل شئ بعد ان شاعت اخبار العصابة وانكشف أمرها دون أن يتم القبض على واحدٍ من أفرادها. وتراجع «شيخو» عن المضي في المراقبة ، وألحّ على صديقه بأن يكفّ هو الآخر ويترك الامر الى رجال الشرطة ، لكن أوينسي الذي قطع شوطاً جريئاً في هذا المضار لم يكن يقتنع بسهولة بوجهة نظر صديقه ، بل حاول من جانبه إقناع «شيخو» بالمضي معه في مراقبة البيت الجديد ومعرفة الاماكن والاوكار الاخرى التي تسيطر عليها العصابة وتستعملها في إخفاء مسروقاتها وسلعها المهربة والاسلحة ، والاختباء فيها عند الضرورة وعندما يتشدد رجال الشرطة بمطاردة أفرادها .

نجح أوينسي في بث الحماسة ثانية لدى صديقه «شيخو» خاصة وان هذا قد رأى بعينيه استعدادهم لفعل أي شئ واقتراف أي ذنب حتى اختطاف الفتيان وايذائهم . ولولا المصادفة في مغامرته الأخيرة لذهب هو ايضاً ضحية لجرائم هذه العصابة. إذ أن الشخصين اللذين جاءا للتعرف عليه لم يكونا قد شاهداه من قبل ، ولو كان معهما الشاب صاحب السيارة الخضراء ، الذي تعاون شيخو مع اونسي على غسل سيارته لاستطاع بسهولة التعرف عليه وكشف حيلته تلك .

وهكذا عادا بعد أيام لمراقبة البيت الجديد دون أن يثيرا انتباه أحد أو شكوكه. ففي كل مساء يخرجان على دراجتها ويتوغلان في الغابة عبر ممرات وطرق ضيقة غير مكشوفة ، ثم يستقران خلف احدى الاشجار الضخمة مقابل الدار .

وبعد زمن قصير استطاعا ان يجمعا معلومات جيدة عن العصابة ... نوع السيارات المستعملة وارقامها ... عدد الرجال وأوقات خروجهم وعودتهم ... الطرق الرئيسية والطرق الفرعية التي

يمرون منها ويظللون كل من يحاول تتبع أثرهم ... المخابئ التي يخفون فيها بعض الصناديق المغلقة . وغير ذلك من الامور التي كانت العصابة تحرص على جعلها جزءً من أسرارها وخفاياها .

شعر أوينسي ان مالديه كافٍ لان يباشر في خطوة جريئة اخرى ، وينفذ جانباً من الخطة التي رسمها بدقة مع صديقه «شيخو» فتقدم بلا وجل من سياج الحديقة الخلفي وقفز داخل الدار مختبئاً بين الاشجار والادغال الكثيفة التي تُركت بأهمال في ذلك الجانب من الحديقة ، وراح يراقب بحذر كل مايجري أمامه ابتداءً من البوابة الحديدية والفسحة المقابلة للباب الداخلي وانتهاءً بالغرفة المضيئة التي تقع على يسار الباب .

ظلّ هكذا عدة ساعات حتى أصابه الملل من وجوده بين الدغل الكثيف والاحراش دون أن يستطيع الوقوف أو الحركة خوفاً من اكتشافه وافتضاح سره ، خاصة وأنه مطلوب بالحاح من جميع أفراد العصابة .

وقبل ان يقترب الليل من منتصفه سطعت أضواء سيارة قادمة

بإتجاه البوابة الحديدية فهرع الحارس مسرعاً وفتح الباب حيث دخلت سيارة «بيكاب» بيضاء وتوقفت داخل البيت فهبط منها ثلاثة أشخاص عرف منهم صاحبه الشاب الذي أخذ الفاكهة دون أن يعطيه ثمنها .

كان أوينسي يفتح أذنيه جيداً لالتقاط كل مايدور بين هؤلاء الأشخاص. وبعد أن استقروا داخل البيت صار حديثهم يصله متقطعاً ، لم يستطع ان يفهم منه شيئاً ، لكنهم بين فترة واخرى يحتدون في حديثهم ويتناقشون بصوت عالٍ فيسمع جُملاً واضحة بعض الشئ إلا انها لم تكن تعني شيئاً لعدم تسلسلها وانقطاعها عن مجرى الحديث. ثم فجأةً صاح الشاب الذي يبدو ان موقعه في العصابة مثل موقع الرأس من الجسد :

ـ حسماً للنزاع سيكون الموعد الساعة الثانية عشرة في فندق «ريجنت» .

اعقبت ذلك فترة من الصمت ، عرف أوينسي انهم يتهيأون للخروج ، فتهيأ هو أيضاً للحاق بصديقه «شيخو» الذي مازال يختبئ مع دراجته الهوائية في مكان أمين خارج البيت . وما ان

استقلوا سيارتهم ثانية حتى صاح أحدهم بصوت واضح منادياً الحارس ، طالباً منه إغلاق البوابة الحديدية جيداً وتفتيش حديقة البيت بمساعدة «ويسكي» .

ارتجف أوينسي لهذا النداء الغريب خاصة وانه لايعرف أي نوع من الرجال الشرسين هو «ويسكي» ؟ ولماذا اختاره الرجل ليساعد الحارس بتفتيش حديقة البيت المترامية الاطراف ؟

فكّر تلك اللحظة أن يقفز من فوق السياج ويخلص من هذا المأزق الذي سقط فيه ، لكنه لم يستطع ، إذ ان الحارس الذي سمع النداء لم يُبطئ ثانية واحدة ، بل وقف في منتصف الفسحة التي تفصل البابين وأطلق صيحة هائلة جمد أوينسي في مكانه من شدتها .

ـ ويسكي ... ويسكي .

بنفس اللحظة التي نادى بها الحارس على «ويسكي» سمع أوينسي زمجرة مخيفة كأنها زمجرة أسد ينقض على فريسته. عرف الآن ان ويسكي ليس واحداً من افراد العصابة ، ولا مصارعاً قوياً

استأجره صاحب البيت للدفاع عنه ، انما هو «كلب» شرس تفوق شراسته وقوته شراسة وقوة اعتى الحيوانات المفترسة.

وحين ألقى عليه «أوينسي» نظرة خاطفة من خلال الاغصان والاعشاب والظلمة ، هاله شبحه الهائل الكبير.

لقد نجا من مطاردة العصابة الخطرة وتخلص من سجنهم الخانق لكنه سيقع فريسة سهلة بين مخالب وانياب «ويسكي». واذا كان ذكاؤه وبراعته قد خلصاه من هؤلاء ، فلا أظنهما ستنفعانه مع هذا العدو الجديد. ولم يجد بُداً من البقاء في مكانه بانتظار مصيره المجهول .

تحرك الحارس ومعه ويسكي وسارا باتجاه أوينسي فأزداد هذا هلعاً ورعباً ، وفي اللحظة التي أضاء فيها الحارس مصباح اليد الذي يحمله أغمض أوينسي عينيه منتظراً أن ينقضّ الحيوان المفترس عليه ، ولكن مرت اللحظات بصمت وسكون رهيب ... واحدة ... اثنتان ... ثلاث ، ولم يحصل شئ ، وحين فتح عينيه وجد الحارس وكلبه ويسكي قد ابتعدا عنه مسافة ليست قصيرة.

لم يصدق أوينسي نفسه وظن ذلك حلماً . فهل يعقل ان يتجاوزه الحارس وقد سلط عليه الضوء وهو جامد في مكانه بين الاحراش ؟ وإذا لم يره هذا فكيف أفلت من «ويسكي» وهو الذي ينظر ويسمع ويشم دونما حاجة الى انتباه واستعداد ؟

لم يُضعْ أوينسي الوقت ، فما ان غاب الحارس مبتعداً عنه مع كلبه حتى قفز من فوق السياج ماضياً باتجاه شيخو الذي كان قد فقد صبره بسبب الانتظار الطويل خلف الاشجار ، وبنفس الوقت ركبا دراجتهما وانطلقا عائدين الى البيت .

١١

في اليوم التـالي كان «أوينسي» و «شيخو» يتبـاحثـان في الخطـة المناسبة لمواجهة اللصوص · لقـد حـدد هؤلاء السـاعـة والمكان ، ولكن اوينسي لم يكن متـأكـداً من ان المقصـود هـو هـذا اليـوم بـالـذات ، فهو لم يسمع سوى عبـارة (السـاعـة الثـانيـة عشرة في فندق «ريجنت») ، ولأن اللصوصية والـسرقـة لاتتم إلاّ تحت جنح الظلام فقد كان واضحـاً ان «الثـانيـة عشرة» هي منتصف الليل وليس منتصف النهار·

وعلى هذا الاساس ذهبا الى هناك بعد ان دقت الساعة الحـاديـة عشرة ليلاً ، وبقيا في السـاحـة المقابلـة للفنـدق محـاولين جهـد الامكان ان يظلا حذرين ، منتبهين لكل مايدور هناك ·

وفي الموعد المتفق عليه بـالتحـديـد توقفت سيـارة بيكاب بيضـاء ذات غطاء من «الچادر» الداكن على بعـد عـدة امتـار من بـاب الدخول وهبط سائقها وسار بأتجاه الباب·

لم يكن أوينسي ولا شيخـو قـد رأيـا ذلـك الرجل من قبـل ولكنهما احسـا من وقوف السيـارة الى جوار الفنـدق ومن تقـدم الرجل وسيره الحذر المتأني أنه أحد رجال العصابة ، وانه بانتظار آخرين سيخرجون من هناك ·

وبـالفعـل خرج أحـد الرجـال وتحدث معه لحظـات ثم دخـل لأثنـان الى الفنـدق· في تلـك اللحظـة كان أوينسي يـدور ثم يقترب من الجـانب الايسر للفنـدق ، ويتوجه الى السيارة التي كانت مقدمتها بأتجاه البوابة الرئيسية ·

وبوقت لايزيد على ثانيتين ودون ان يشعر به احـد من عمـال الفنـدق أو من المـارة ، قفـز الى ظهر السيـارة واختبـأ تحت مقاعدها الخشبية الطويلـة ، فيما أخـذ «شيخو» دراجتـه وانطلق

مسرعاً الى جهة مجهولة حسب الاتفاق الذي تم قبل لحظات بينه وبين أوينسي ·

• • •

، يمضي على وقوف السيارة أمام الفندق اكثر من عشر دقائق حتى خرج السائق مع رجلين آخرين وهم يحملون عدداً من الحقائب رموها في حوض السيارة الخلفي ، ثم دخلوا الفندق ثانية وعادوا بعدد من الصناديق الصغيرة المغلقة ، وما ان وضعوها بنفس المكان حتى ركبوا جميعاً في صدر السيارة وانطلقوا مبتعدين عن الفندق ·

راحت السيارة «البيكاب» تسير في طرقات المدينة الخالية فيما كان أوينسي يتحسس بهدوء وصمت الحقائب والصناديق الملقاة الى جواره ·

كانت الخطة تعتمد بالدرجة الأولى على المكان الذي ستتوجه اليه

السيارة ، فلو غيّر اللصوص إتجاههم ومضوا الى بيت آخر غير ذلك البيت المتفق عليه لأنهار كل شئ ولأصبح إفلات أوينسي وخروجه من السيارة عسيراً· أما إذا ذهبوا بأتجاه الغابة فأن الامور ستكون على مايرام ·

كان على أوينسي أن يخرج رأسه قليلاً ويتأكد من سير العملية ، وهكذا فعل · زحف بهدوء وصمت محاولاً الا يحدث صوتاً أو يحرك صندوقاً من تلك الصناديق المكدسة فوق بعضها دون نظام ، وحينما رفع رأسه قليلاً وجد أن السيارة مازالت تدور في شوارع المدينة فتوجس من ذلك ريبةً وخاف من أن تكون العصابة قد غيّرت رأيها أو قررت قراراً آخر·

وفكر بالنزول من السيارة والخلاص بجلده ، ففي تلك اللحظة تكون فرصته بالهروب أسهل وأسلم مما لو أبطأ قليلاً ، فربما دخلت السيارة كراجاً مغلقاً وتقابل مع اللصوص وجهاً لوجه · لكنه عاد وتشبث في مكانه بانتظار أحداث جديدة ·

مدّ يده لأقرب صندوق اليه وتحسس غطاءه بهدوء ، وبعد قليل

من الجهد استطاع فتحه بواسطة الالة الحديدية التي اشتراها من السوق لمثل هذه المهمة وما ان مدّ يده داخله حتى فوجئ بمحتوياته. لقد كان الصندوق مليئاً بالاوراق النقدية. وبنفس الحذر والهدوء أعاد غطاء الصندوق الى وضعه الاول بعد أن دسّ حزمتين من الاوراق في جيبه .

في ذلك الوقت أحسّ أوينسي ان السيارة قد أبطأت قليلاً في سيرها ، وربما دخلت زقاقاً ضيقاً أو طريقاً ترابياً. فتأكد أنها قد خرجت فعلاً من المدينة وهي الآن في طريقها الى احد أوكار العصابة داخل الاحراش .

تمنى من كل قلبه ان تسير الخطة في الطريق المرسوم لها ، فقد تعب من مطاردة هؤلاء الذين يفوقونه قوةً وقدرةً على الصمود. وأحسّ بنفسه ضعيفاً أمامهم مع انه يمتلك الاصرار الكافي والدوافع التي تجعله لايتراجع .

وبينما كان أوينسي منشغلاً مع نفسه بهذه الافكار تذكر ان عليه الآن الهبوط من السيارة مسرعاً والمباشرة بالخطوة التالية من

الخطة ، وكذا فعل ، فقد استغل مرور السيارة من أحد المنعطفات فسارع الى الهبوط منها بهدوء واختفى خلف الاشجار ، فيما استمرت السيارة في طريقها عبر ممرات الغابة .



وحين مد يده داخل الصندوق فوجىء بمحتوياته ، لقد كان الصندوق مليئا بالاوراق النقدية .

١٢

كان الوقت يزيد قليلاً على الواحدة بعد منتصف الليل حين توقفت السيارة فجأةً · لقد كانت هناك اغصان كثيرة وصخور تسدّ الطريق الوحيد في ذلك المكان · ارتبك الرجال قليلاً وهم يهبطون من السيارة :

ـ لابد أن في الامر سراً !!

قال أحدهم ذلك موجهاً حديثه الى صاحبه ، ثم اضاف :

ـ لاول مرة يحدث هذا .. نحن نسير في الطريق منذ شهور ·

ـ هل تعتقد أن هناك فخاً ؟

ـ ربما ، فأنت تعرف أننا مراقبون من قبل الشرطة ·

ـ إذن ... ماذا نعمل ؟

ـ لنرفع الاغصان والصخور ونمضي ، ثم نخبئ البضاعة في مكان أمين بين الادغال الى ان ينكشف الأمر· في تلك اللحظة سمع

الجميع صوتاً ضعيفاً ينبعث من خلف الاشجار يقول :

ـ لاتطلقوا النار وانتظروا حتى يهبط الباقون ٠

ودون ان يفكر أحد من رجال العصابة توجه الثلاثة مسرعين الى السيارة وانطلقوا بها هاربين بنفس طريقهم الاول ٠

لم يكونوا بحاجة الى سماع المزيد من الكلام أو رؤية الاشخاص الذين كانوا هناك بانتظارهم خلف الاغصان والصخور٠ لقد كانت العبارة التي سمعوها كافية وواضحة جداً ، ولابدّ ان هناك عدداً من أفراد الشرطة مختبئين خلف الاشجار ، وعليهم الآن أن يتخلصوا من الحقائب والصناديق بأخفائها بين الاحراش حتى يجتازوا الخطر الداهم الذي برز امامهم فجأةً ٠

وبالفعل ماأن قطعوا ثلاثة أو اربعة أميال حتى هبطوا مسرعين ونقلوا الحقائب والصناديق الى مكان امن بين الاحراش وغطوها بالاغصان وأوراق الاشجار ٠

وعندما فرغوا من نقلها جميعاً واطمأنوا الى مكانها ، قضوا بعض الوقت يشربون ويلهون في مكانهم قرب السيارة ، قاصدين من

وراء ذلك عدة أشياء ، اولها أنهم بحاجة الى وضع علامات واضحة على الطريق ليتعرفوا بواسطتها على مكان بضاعتهم المخبأة ، وستكون القناني وعلب الطعام الفارغة التي سيتركونها على الطريق هي العلامة المميزة للمكان ٠ وثانيها كي يتأكدوا من مطاردة رجال الشرطة لهم ، فإذا كان هناك فخ قد نُصب في طريقهم فلا بد ان هؤلاء سيعودون بنفس الطريق للبحث عنهم ، وستكون لعبة طريفة حين يفاجئونهم هناك وليس لديهم غير قناني الخمر وعلب الطعام ٠

سيتأكدون من أنهم مجرد سكارى يلهون ويعبثون بعيداً عن المدينة وعن الناس ٠ وبهذا سيتخلصون من مطاردتهم وسيضربون ـ كما يقال ـ عصفورين بحجر واحد ٠

• • •

حين مضى على لهوهم وعبثهم اكثر من ساعة قفلوا عائدين الى «لاكوس» وقبل ان يصلوا ضواحيها فوجئوا هذه المرة بعدد من سيارات الشرطة تعترض الطريق ٠

توقفت السيارة «البيكاب» وهبط منها الرجال الثلاثة غير عابئين بعدد الرجال المسلحين المنتشرين في المنطقة ، وحينما وجدوا معهم «أوينسي» أصيبوا بالخوف والارتباك ، خاصةً وان اثنين منهم يعرفانه جيداً ٠

قال الضابط موجهاً كلامه الى «أوينسي» :

ـ هل هي السيارة المقصودة ؟

ـ نعم سيدي ، انها هي ٠

في تلك اللحظة صاح الضابط آمراً عدداً من أفراد الشرطة :

ـ فتشوها جيداً ٠

صعد الرجال بسرعة يفتشون السيارة فيما ظل الضابط وأوينسي وأفراد العصابة الثلاثة صامتين٠ وبعد دقائق هبط الشرطة دون أن يعثروا على شئ ؛ سوى عددٍ من قناني الخمر وعلب الطعام والسيكاير ٠

التفت الضابط اليهم ثانيةً قائلاً:

ـ أين أخفيتم المال ؟

اجاب أحدهم بهدوء ولامبالاة :

ـ أيُ مال تقصد ؟

ـ صناديق المال التي كنتم تنقلونها في السيارة ٠

ـ ليس هناك مال كما ترى ٠

ـ بل كانت حقائب وصناديق مليئة بالاوراق النقدية ٠ ضحك احد الرجال الثلاثة بصوتٍ عالٍ ساخراً مما يقوله الضابط ٠

في تلك اللحظة مدّ الضابط يده الى جيبه واخرج رزمة كبيرة من الجنيهات ، وقال موجهاً كلامه الى الرجل الذي اخذ يضحك ومشيراً اليه برزمة الجنيهات :

ـ اما زلت تنكر وقد رأيت الدليل بنفسك ؟

بهت الرجل وظل واجماً وهو ينظر الى رزمة الجنيهات التي كانت بيد الضابط ، فيما جمد الرجلان الآخران في مكانيهما من الدهشة ٠

في تلك اللحظة ظهرت دراجة على بعد عدة أمتار منهم ، تبدو كأنها شبح يتقدم باتجاه الجميع وما ان اقتربت قليلاً حتى نزل منها صبي صغير وتقدم من الضابط قائلاً :

- لم تجدوا شيئاً في السيارة .. أليس كذلك ؟

- نعم ، ليس هناك شئ مما اخبرنا عنه صاحبك

- ولكنني أعرف أين اخفى هؤلاء الاموال ·

أجاب الضابط مندهشاً :

- تعرف ؟

- نعم أعرف ، لقد رأيتهم واقفين في مكان لايبعد كثيراً عن هذا المكان ، ولابد انهم قد اخفوا الحقائب هناك ·

• • •

ركب الضابط والصبيان وعدد من رجال الشرطة وانطلقوا جميعاً الى المكان الذي اخبرهم عنه «شيخو» · فيما ظلّ عدد آخر من رجال الشرطة يحتجزون أفراد العصابة حتى يجدوا الدليل الكافي على إدانتهم· وبعد تفتيش سريع عثروا على الصناديق والحقائب مخبأة بين الاحراش·



في تلك اللحظة مد الضابط يده الى جيبه واخرج رزمة كبيرة من الجنيهات ·

١٣

في صباح اليوم التالي نشرت الصحف نبأ مثيراً مفاده ان صبيين لم يتجاوزا السادسة عشرة قد ألقيا القبض على العصابة الخطرة التي دوخت شرطة «لاكوس» .

وتبيّن من التحقيق أيضاً ان هذه العصابة يزيد عدد أفرادها على العشرين وأن لديها عدداً من البيوت والاوكار تستعملها للأختفاء والتمويه . والتقت الصحف بهذين الصبيين ونشرت صورهما على صفحاتها الأولى ، فعرف الناس في كل مكان قصة «أوينسي» المثيرة إبتداءً من خروجه من قريته «أبيكوتا» باحثاً عن الذي سرق منه ثمن الفاكهة ، وانتهاءً بتفاصيل الخطة المحكمة التي رسمها مع صديقه «شيخو» حين ركب السيارة من فندق

«ريجنت» وهبط في منتصف الطريق لأخبار رجال الشرطة واللحاق باللصوص ثانية ، حيث أوعز لصديقه شيخو بأن يذهب قبله مسرعاً ويسد الطريق باغصان الاشجار والصخور ويسمعهم تلك العبارة التي ارعبتهم ، والتي جعلتهم يعتقدون أن هناك عدداً من أفراد الشرطة قد نصبوا كميناً لهم في الادغال. فحين سمع الرجال الثلاثة صوتاً ضعيفاً ينبعث من خلف الاشجار يقول : «لاتطلقوا النار وانتظروا حتى يهبط الباقون» انطلقوا هاربين عائدين الى المدينة متصورين انهم سيتخلصون من مطاردة الشرطة لهم واللحاق بهم ، لكنهم لم يعلموا انهم قد وقعوا في الفخ. حين فرّوا عائدين باتجاه المكان الذي كمن فيه أوينسي مع رجال الشرطة .

أما كيف استطاع «شيخو» معرفة المكان الذي أخفوا فيه الصناديق فذلك بسبب خطأهم هم ايضاً ، اذ أنهم بعد ان اخفوا الحقائب والصناديق بين الادغال لم يبرحوا المكان وظلوا يشربون ويلهون حتى استطاع «شيخو» ان يصل اليهم بدراجته بعد ان

رآهم يفرون من امامه وهو يقول عبارته الوهمية تلك. وهكذا سقطت هذه العصابة الخطرة بيد العدالة وأمسك بجميع افرادها وأحيلوا الى المحاكم .

• • •

حصل أوينني وصديقه شيخو على هدايا كثيرة من المسؤولين ومن الناس الذين أعيدت اليهم أموالهم المسروقة ، فقرر بعد ذلك مغادرة لاكوس والعودة الى قريته الحبيبة «ابيكوتا» . وفي اليوم الذي وصل فيه أوينني قريته تلك فوجئ بصوره معلقة في كل مكان ... في الشوارع وعلى الاشجار وجدران البيوت الطينية والاكواخ ، وانه أصبح فخراً لكل سكان القرية .

وحين اقترب من كوخهم رأى امه واخوانه الصغار وقد وقفوا ينظرون اليه بحب وشوق لايعرف مقداره الآخرون ، فقد مضى على غيابه عنهم اكثر من شهر دون ان يعود اليهم - كما كان كل مساء - حاملاً على رأسه سلة الفاكهة وفي جيبه شيئاً من النقود